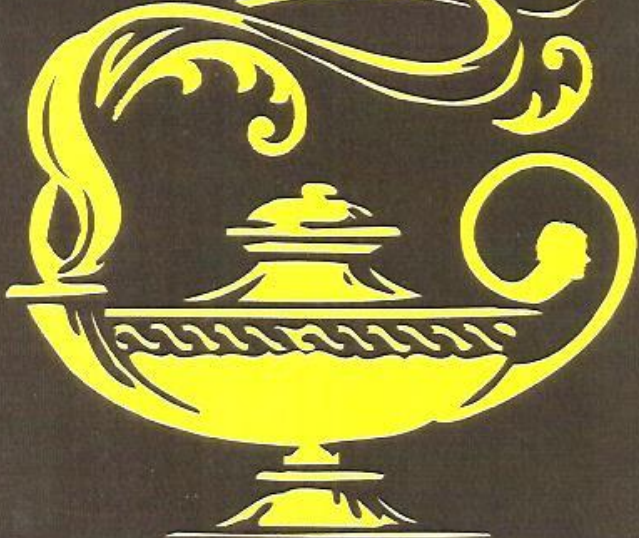


— رواية —  
رامي عمار

# النذر السري



دار المصري للنشر والتوزيع

# النبراسك

النبراسي  
رامي عمّار

تصميم الغلاف:  
عبد الرحمن الصوّاف

المصحح اللغوي  
عُلا عبد المجيد

رسومات داخلية  
مارسيلو ماتشوكا

الطبعة الأولى يناير ٢٠١٥م.

رقم الإيداع: 2014/23263


ISBN: 978-977-770-006-1

المصري  
للنشر  
والتوزيع


المدير العام: يوسف ناصف

عمارات العرائس

المعادي الجديدة - القاهرة

+2 01064378376 

+2 01146335098

info@elmasrypublishing.com 

www.elmasrypublishing.com 

رامي عمّار

# النَّبْرَاسِيَّة



الْحَمَأُ نُبِتَ مِنْهُ الْإِنْسَانُ  
الْقَمْحُ يُسْحَقُ بِحَجَرِ الصَّوَانِ  
الرَّأْيَةُ تَرْفِرُ فَوْقَ الْجُدْرَانِ  
الْأُمَمُ تُفْنَى بِكَلِمَةِ سُلْطَانِ  
الْمَنَابِرُ تُصَيِّحُ بِهَيَاجِ الْحَبْلَانِ  
الْحَقُّ وَرَقَةٌ مَخْتُومَةُ الْبُطْلَانِ  
الْجَسَدُ الرَّاقِدُ مَأْكَلُ الدِّيدَانِ  
الْقَلْبُ النَّابِضُ مَمْسُوسُ الْإِيْمَانِ  
الرُّوحُ الْآثِمَةُ مُعَلَّقَةُ الْغُفْرَانِ  
فَحِينَ إِذِ تَذَكَّرُ أَنْ  
الْفِتْنِ مَكَائِدِ  
وَالْمَصَائِبِ ابْتِلَاءِ  
وَالزَّمَنِ دَائِرِ  
وَالْقَلَمِ شَهِيدِ



## الصَّاورِي (\*)

نَفْسُكَ مُقَيَّدَةٌ لِلْأَزَلِ بِكُرْسِيِّ، الْكُرْسِيِّ مَرْصُوصٌ بِصَفٍّ  
تَبَيَّنَ أَنَّ مَصِيرُكَ بِمَخْطُوطَةٍ لَسْتَ أَنْتَ مِنْ خَطِّهَا بِيَدِكَ  
تَسْعَى لِإِخْتِيَارِ بَعِيدٍ عَنْ حَدِّكَ الْمَرْسُومِ فَيَأْبَى الدَّجَالُ  
أَنْ تَخْتَارَ تَثُورَ عَلَيْهِ بِالتَّسْأُولِ فِيرُدُّ عَلَيْكَ بِجَوَائِبِ إِمَّا  
أَنْ تَتَوَلَّى الدَّفْعَةَ فَتُمْسِي مَتَخَبِّطُ الْمَسِيرِ إِلَى نُصْرَةِ عَقْلِ أَوْ  
أَتِهَامِ بِجُنُونٍ؛ وَإِمَّا أَنْ تَأْمَنَ مَكَانَكَ تَارِكًا الْعَاقِبَةَ لِغَيْرِكَ  
فَتَمُوتَ هَنِيءَ النَّفْسِ فَإِنَّكَ لَسْتَ الْمَلَامُ.

\* \* \*

لا يَنغلقُ الخَطُّ وَتَنقَلِبُ مَلَامِحُ وَجْهِهِ قَابَ قَوْسَيْنِ

(\*) هو الشخص الذي يُعْتَمَدُ عَلَيْهِ لِيَشُدَّ صَارِي السَّفِينَةِ أَوْ الْعَمُودِ  
الذي يَرْتَكِرُ فِي وَسْطِ السَّفِينَةِ لِيُوضَعَ عَلَيْهِ الشَّرَاعُ



أَوْ أَدْتَى الْحَالِ قَدْ تَبَدَّلَتْ بَعْدَ أَنْ حُمِّلَ الْأَمَانَةَ الْغُصَّةُ  
فِي الْحَلْقِ تَزِيدُ الْخِيَارَاتِ حِدَّةً تَحَاصِرُهُ الظُّنُونُ تُهْجُرُهُ  
الْمَشُورَةُ تَنْسَجِبُ الْأَنْوَارَ الْمُرْشِدَةَ لِتَتْرَكَهُ فِي ظِلَامِ دَامِسٍ»

\* \* \*

بَزَغَ النُّجْمُ مِنَ الْعَتَمِ.. ظَلَّ رِمَادِيٌّ فَوْقَ صَخْرٍ مَتَكَسَّرٍ  
مُرْتَمٍ فَوْقَ قِمَّةِ جَبَلٍ الْمَقْطَمِ الظِّلِّ لِكَهْلٍ أَجْعَدٍ هَزِيلٍ  
يَتَسَاقَطُ عَنْ جَبِينِهِ الْعِرْقُ الْكَهْلُ مُعَصَّبُ الرَّأْسِ  
بِعِمَامَةٍ مَخْرُوطِيَّةٍ بَالِيَةٍ يَرْتَدِي جَلْبَابًا زَيْتُونِيَّ اللَّوْنِ  
مَتَسَخِ الْأَطْرَافِ وَلَهُ لِحْيَةٌ طَوِيلَةٌ شَعْنَاءُ مَجْدُولَةٌ النِّهَايَاتِ  
يَضْرِبُ بَعْصَاهُ الْأَرْضَ رَاجِعًا إِيَّاهَا الصُّعُودَ نَحْوَ مَبْتَغَاهِ  
الْعَالِيِ الْبَعِيدِ فَوْقَ قِمَّةِ الْجَبَلِ جَسَدُهُ النِّحِيلِ يَتَأَرَّجِحُ  
يَمِينًا وَشِمَالًا لَتَتَدَلَّى عَنْ كَتْفِهِ الْأَيْمَنِ حَقِيْبَةٌ قِمَاشِيَّةٌ  
ضَامِرَةٌ الْأَحْمَالِ مُرْقَعَةٌ الزَّوَايَا تَرَاهُ تَحْسِبُهُ جِثَّةً بُعِثَتْ مِنْ  
بَيْنِ شَوَاهِدِ الْقُبُورِ الْمُبْعَثَةِ مِنْ وَرَاءِهِ يَخْشَعُ الْقَلْبُ مِنْ  
هَيْئَتِهِ الْوَعْرَةِ الَّتِي تَشْبَهُ رِجَالًا يَنْتَمِي لِرَمَنِ يَعْقُوبَ عَلَيْهِ  
السَّلَامُ يَتَوَقَّفُ الشَّيْخُ بِأَرْضِ مَسْتَوِيَةٍ وَيَخْلَعُ الْحَقِيْبَةَ مِنْ  
عَلَى كَتْفِهِ وَيَلْقَى بِهَا بِالْقَرْبِ مِنْهُ وَيَضَعُ الْعَصَا أَمَامَهُ يَقْبَعُ  
جَالِسًا غَيْرَ مُبَالٍ بِالْأَتْرَبَةِ الْمُبْتَلَّةِ أَسْفَلَهُ فَتَسْخُ مَلَابِسُهُ

## الصَّاورِي

بالوحد يرفع رأسه للسماء وعيونه موصدة واضعاً  
يداه المفتوحتان فوق فخذيه مُرْتَحِ القبضتين بدأ يتمتم  
كالمَغشَى عليه وبصوت أَجَشٍّ مبحوح يتلو صلاة المَلَك  
الهابط من سماء عجماء لا شىء حوله سوى الصمت  
التام والفراغ المعتم أَقشَعَرَّ بدنه حين تَهَيَّأ لِنَشْدِ قصيدة  
الصوفي المذبوح فوق الصليب أخذ يكررها منذ انشقاق  
الفجر إلى أن توسطت الشمس السماء وأصبح نورها  
متعامداً فوق الرؤوس استيقظ من غفوته كمن صَعَقَه  
البرق؛ لِتَنَحِيرِ العين عن وُسْعِها وعن السكون..  
يشرع مسرعاً في جمع حاجاته المبعثرة حوله ويهرع راکضاً  
متجهاً للأسفل في عجلة من أمره المبهم لسانه ينطق  
بدعاء أعجمي وهو مخلص العزيمة لتلبية نداء القدر  
الغيبى

دعوتني إليك أم دعوتك لي النداء لك والتلبية لي

دعوتني إليك أم دعوتك لي النداء لك والتلبية لي

\* \* \*

أرجل تتزاحم وأحذية لامعة تخطو فوق البلاط

الحكومي.. بجوار أحد الأعمدة الرخامية العملاقة والحاملة لقوائم إحدى قاعات المحاكم.. تستوقف الصدفة كلاً منهما وبحفاوة يحتضن زميله في الثوب الأسود والذي كان يحمل دفاتر وأوراق يهنئ زميله المحامي الذي انتصر في قضيته الأخيرة وظفر بحكم البراءة لموكله الذي رُفعت في حقه دعوى كانت معلومة الفتوى للجميع بأنه مذنب ولزم كسر حنجرته ليموت مخنوقاً مشنوقاً بحبل الإعدام كونه من قد أفسى الفساد بين الناس؛ فوجد القاضي قد أقر على موكله بحكم مدعوم بالقانون بأنه برىء لعدم كفاية الأدلة القاطعة والمنصوصة بالكتب التي قد انتشرت طولاً وعرضاً بالأرض حتى تَدَنَسَ ماء المطر وذبلت بالبساتين أزهار الياسمين

- مبروك يا سالم البراءة لموكلك انت خرّجت الراجل من القضية صاغ سليم وممكن كمان ترفع قضية تعويض  
- الله يبارك فيك القضية كانت صعبة اوى لكن بشوية تكتيك وتفتيح مخ عرفت اوصل للحكم ده بسهولة  
- بسهولة ازاي ده موكلك كان رايح في داهية ده الناس

كلها عارفة هو عمل إيه!

- يعرفوا اللي يعرفوه المهم المسجل في الأوراق المكتوب  
هو اللي بيتحكم بيه احنا عايشين في دولة القانون  
- القضية دي هترفعك السما وهيزيد عدد موكليك  
الكبار

- عندك حق أنا كنت على أعصابي الأيام اللي فاتت  
خصوصًا ان فتحى الطحان كان مستنى يعرف الحكم  
عشان بيعت لي ورق قضية تبعه تشبه القضية دي  
والأسبوع الجاي هقابله عشان آخذ القضية ادعى لي

- فتحى الطحان حته واحدة! ربنا يكرمك

- يارب الأسبوع الجاي هو أهم أسبوع في حياتي

يكملان باقى الحديث في السؤال عن الأهل إلى أن يودع  
كل منهما الآخر ويهان بالذهاب في سلام كل في طريقه  
المعاكس مبتعدين عن المبنى المكتظ بالناس.

\* \* \*

طُرْقَةٌ مُظْلَمَةٌ بمنزل عتيق قد بصقت الرطوبة على

جدرانه.. تتحسس ببصرك عن مصدر ذاك النور الأبيض الخافت الآتي من نهاية الطَّرْقة ليقودك الضوء نحو غرفة تتقدم في خطواتك شيئاً فشيئاً فترى الوائناً مطبوعة فوق حائط أبيض باهت اللون الالوان تتغير كل بضعة ثوان لتَحزَّر أن هناك تلفاز تجد على جوارك شاباً نحيلاً أشعث الشعر رث المظهر متكئ على أريكة بزى منزلي مهلهل ممسك بجهاز التحكم عن بعد لا تنفك أصابعه عن الضغط وكأن الجهاز بيده معطل يقلب بين المحطات الفضائية لعله يجد ما يملأ وقت فراغه الدائم.

يجلس إلى جواره رجل قد اشتعلت مقدمة رأسه شيئاً يرتدى عباءة صوفية له هيئة الوقار

- يا ابني وجعت عنيا يا تسيب قناة واحدة يا تجيب الريموت ده

- ما هو مافيش جديد ف التلفزيون اعملك إيه يعني؟

- ما انت مش بتتفرج أصلاً يا صابر!

- استنى هشوف قناة الأفلام عليها إيه

- أفلام إيه اللي لسه هتشوفها هات كده الريموت ده

الساعة بقت ٨ عاوز اتفرج على البرنامج

- طب استنى خلاص هجيبه.. وأدى البرنامج بتاعك  
اهوه الا عمره ما جاب حاجة كويسة أبداً ودايمًا الدنيا  
سودا ومفيش أمل

- اسكت بقى عاوز اتفرج

- (المذيع في التلفاز أعزائي المشاهدين أهلاً ومرحباً  
بكم)

ترك صابر والده واتجه إلى غرفته جلس إلى مكتبه وقام  
بتشغيل جهاز الكمبيوتر الخاص به وأكمل بتصفح  
الإنترنت يبحث عن عمل بخارج مصر بعد أن هلك  
حذائه وتمزق وهو يجوب الشوارع سائلاً أصحاب  
الأعمال عله يجد عملاً يناسبه لكنه بعد أن أيقن أن  
العمل بأرض الوطن بات محض أمنية لا أكثر استجاب  
لنصيحة المغادرة إلى خارج الحدود؛ ليبدأ من بعدها بنشر  
أوراقه بكل ما يجده أمامه لعله يظفر بوظيفة يستطيع منها  
أن يتحمل عبء نفسه يلمح إعلاناً فيقرأه

« مطلوب شاب مؤهل عالي يجيد الكمبيوتر والإنجليزية

بأجر مجزى للسفر إلى الخارج للتواصل يرجى الاتصال  
على رقم.....»

ينظر أمامه باحثاً عن هاتفه ليجده يكبس الأزرار ليكتب  
الأرقام الظاهرة أمامه على الشاشة الكبيرة ينصت لرنين  
الاتصال ليجد استجابة

- ألو السلام عليكم.. مكتب الطحان للعمالة؟ أيوه  
حضرتك أنا بتصل عشان الإعلان.. أيوة بعثت «السي  
في» بتاعى على إيميل المكتب الموجود على الموقع..  
خلاص أنا مستنى تليفون من حضرتك.. شكراً

يشعر بارتياح كونه أرضى ضميره الذي يسأله مراراً  
«ماذا فعلت اليوم أيها العاطل عن العمل؟» فيُقدّم العذر  
المقبول «بدوّر على شغل» ينتبه إلى صوت رنة مزعجة  
لأغنية كلماتها خليعة تخرج من هاتفه يقترب بنظرة  
من الشاشة الصغيرة المضيئة ليتعرف على اسم المتصل  
اتصال من صديق يهم في الحال ليبدل ملابسه من أجل  
نزهة إلى المقهى المجاور لمنزله يخرج للصلاة ويقترب من  
والده بحذر وقلبه يملؤه الحزى

- بابا أنا نازل مع اصحابي وكنت عاوز فلوس

- عندك في درج التسريحة خد اللي انت عاوزه

اعتاد الأب ألا يعطى ابنه المال من يده كى يحافظ على  
نفس ابنه المنكسرة وتبقى كرامته مُعززة يقترب صابر من  
الباب ويصيح

«أنا نازل عاوزين حاجة من تحت؟» فتجيبه والدته من  
داخل إحدى الغرف

- هتنزل فين؟

- القهوة اللي على ناصية شارع المرشدى

- ماتتأخرش برة.. واوعى تشرب سجاير

\* \* \*

عِظَامُهَا اللَّيْتَةَ تتراقص باستسلام.. رموشها قد خطها  
القلم بسواد الكُحْل عيناها العسلية اللون ناعستان  
ومن أسفل جفونها داكن دلالة على الإرهاق يفوح منها  
رائحة عطر أنثوى يلفظ أنفاسه الأخيرة مازالت محتفظة  
بملابسها مهندمة برغم شعرها الأشعث وتبرج وجهها



المسوح جالسة بالمقعد الأمامي في سيارة مصنعة من معدن القصدير كعبوة مُطبقة عائدة متعبة من عمل بإحدى المستشفيات طيبة الامتياز جاهدت طوال حياتها لأجل هذا اللقب (دكتورة ميرفت) تبحث في حقيبتها الجلدية عما طلبه السائق الجالس بجوارها من نقود كي يوصلها إلى أقرب مكان لمنزلها تُخرج بعد ذلك هاتفها المحمول وتبحث بين صور قد جمعتها بأحدهم ترتسم على جانب شفيتها ابتسامة حنين متمنية اقتراب اليوم الذي تنتقل فيه «الدبلة» من يدها اليمنى إلى اليسرى يرن هاتفها باسم مقرب لقلبها الحالم (روح قلبي) تعتدل في جلستها وتتنهد لتجيب على الاتصال

«ايوة يا حبيبي .. معلىش اتأخرت بس عشان الشغل .. أنا مروّحة في الطريق وقربت من البيت خلاص .. معلىش ماعرفتش اتصل بيك عشان الزحمة والمواصلات .. آخر مرة ساعنى .. بحبك اوى»

يقرب السائق بأصابعه من مسجل السيارة ليرفع من مستوى صوت أغانيه المفضلة كي يعيش لحظة انبساط ما يتذمر الراكبون معه لكن في صمت تتجرأ الفتاة

وتطلب منه في رقة أن يعيد الصوت إلى مستواه المنخفض كما كان أو أن يغلق المسجل فهكذا أفضل للجميع ما عدا هو يتضايق الرجل منها كونها الوحيدة التي اعترضت ولم تتركه في حاله الهائم

- معلش يا آنسة بس أنا ما بعرفش اتكيف الا والصوت على

- بس ده إزعاج ممكن تسمع على قدك وتتكيف برضو  
- عربيتي وانا حر فيها واللى مش عاجبه ينزل ياخذ تاكس

- انت بتقدم خدمة وبتاخذ عليها مقابل ومن حقى ما اتعرضش لإزعاج سواء منك أو من حد غيرك لأنك اتعديت حدودك المسموح بيها والصوت هنا أصبح مُضر و....

- بس خلاص افصلى بقى.. يا دي قلبة المزاج بكلامك اللي مش فاهم له معنى ده وآدى الزفت وَطَيْتَه انتى نازلة فين يا أبلة؟

· أول شارع المرشدى يا اسطى ولو سمحت توطى

الصوت شوية كمان بعد إذناك

\* \* \*

أسند صابر ظهره إلى أحد أعمدة الإنارة القريبة من منزله والمعلق عليه لافتة معدنية مكتوب عليها (شارع المرشدى) في انتظار قدوم صديقه يلتفت يمينا ويسارا وجهه متأفف من الشارع الضيق والقمى ومن رؤية تلك الرسمة الكئيبة المتواجدة على وجوه أناس قد فقدوا الأمل في الحياة ويتمنون الموت بديلا وفي أقرب ساعة لعلهم يعرفون الراحة هربا من تلك العيشة التي باتت بلا مَهْرَب فهذا الإمام عبد الصمد في طريق عودته من المسجد متجها للصيدلية كى يشتري منها مجموعته من المسكنات فهو مصاب بمرض لا نجاة منه ولا تكفى ثروته مضاعفة ثمنا لعلاج فعال فإن اسمه قد سقط سهوا من لائحة الدولة للمكرمين الذين يُعالجون على نفقتها.. وهذه أم شيرين في خضم مجادلة سوفسطائية مع البقال حول ديونهم المشكوك في أمر سدادها فإنهم لا يملكون الا الفتات المبعثر بعد أن تم إحالة زوجها للمعاش المبكر حيث أن أجره الزهيد كان يمثل عبئا

على ميزانية الشركة وكان لا بد من طرده.. وتلك هدى تطل من شباكها الرمادي هائمة الوجه تنظر للسماء منتظرة فارس الأحلام بحصان أبيض ينتشلها من تلك البقعة المظلمة لتقلص أحلامها بأن تصير أمًا لأطفال فلا تعرف غير ذلك مبتغى.. وهناك يأتي حسن دافعًا الكرسي المتحرك والجالس عليه والده الأستاذ حسانين الذي انكسر ظهره وصار مُقعَّدًا جراء حادث سيارة وتشاء الأقدار السماوية أن يمتلك السيارة أحد أبطال الفضائيات فيمسي الحق رسالة تبحث عن نبي مؤيد بوحي ليطالب به يرتسم الاشمئزاز على وجه صابر يرى صديقه قادمًا من بعيد فينادى عليه أن يسرع

- يلا يا عم انت كل مرة تتأخر عاوز امشى من هنا بقى

- يعنى هيحصل جديد ما احنا بننزل كل يوم

- هانت بكرة اسافر واهج من المنطقة الفقردى

- أمّا أنا لسه شايف حتة بنت نازلة من ميكروباص إنما

إيه غسل!

- غسل! طب يلا يا غسل

امتلاً المقهى برؤاد قانطون.. متراصون إلى جوار بعضهم البعض وهم في تصالح فيما بينهم منذ زمن لم يعد أحد منهم يتذكر متى توقف بهم الزمن عند تلك الساعة التي تُعاد كل يوم في نفس التوقيت وبنفس الأحداث يبحث الصديقان عن الركن المعتاد القابع بتلك الزاوية الحاوية لمقاعد السيامية يقرب منهم فتى المقهى لي طرح عليهم السؤال المعتاد «هتشرىوا إيه؟» تمسهم الحيرة الساذجة لينظرا إلى وجهى بعضهما البعض فيهدتيا إلى الاختيار الدائم الذي يأتي بعد عدة نظرات للاستشارة البليدة وبإجابة مليئة باللامبالاة.. «شاي».. يقضى الصديقان السهرة بالنميمة عن فتيات جوار النعيم يخلقان بخيالهما فوق سحب الأوهام وبين أبراج شاهقة يحلمان أن تزورهما عروس بسيارتها الفارهة ونظارتها العاكسة وشعرها الهش الطويل مرتدية ملابس تبرز مفاتها ليهربا بصحبتها إلى أرض السعادة بالشواطىء الخاصة.

الوقت زهيدٌ.. وها قد انقضت ساعات وفيرة في حياة فارغة يُدفن اليوم بلا ندم يلهوان محاولين الاستمتاع

بالقضاء على كل دقيقة أُتِحت لهم في الحياة محاولين النسيان تنتهى الليلة بالعودة للمنزل وقد أصابها الهم يعود صابر ليجلس أمام الشاشة ليكمل أمسيته مع صديقه الإنترنت يتوضأ ويصلى ركعتين تقرُّبًا إلى عالم الحال يتوجه لسريره علَّه ينام متمنيًا الاستيقاظ على صباح مُحمَّل برسالة عنوانها الخلاص.. «السفر».

\*\*\*

الصباح المأمول.. رنين الهاتف يأتي من جانبه يمد يده ليجيب نظرة عن قرب وإذا برقم ليس بالمُسجَل - ألو؟

- السلام عليكم أستاذ صابر معايا؟

- وعليكم السلام أيوة يا فندم مين حضرتك؟

- معاك مكتب الطحان يا فندم أنا بتصل بحضرتك عشان اقولك إن عندك مقابلة الأسبوع الجاي هنا في المكتب بخصوص طلب العمل أيا ريت لو معاك قلم وورقة عشان تكتب العنوان

- ثانية واحدة اجيب قلم

- (قفزة استيقاظ من فوق السرير يعبث بمحتويات  
أدراج مكتبه ليجد ضالته من القلم والورقة)  
أيوة العنوان فين حضرتك؟ أيوة عارف شارع سعد  
زغلول.. أيوة أيوة الشارع اللي ورا مجلس الشعب..  
آجى امتى حضرتك؟ يوم التلات اللي جاى.. خلاص  
هبقى هناك الساعة ٤ بالضبط.. وعليكم السلام..

## السَّقَطِي (\*)

الورقة في النتيجة المعلقة على الحائط تعلن أن اليوم هو الثلاثاء وبجوارها أن الساعة الثانية عشرة والربع انعكاس بالمرآة لشفرة حادة أسفل الذقن تزيل آثار تركها الصابون بحماس يتجه ناحية خزانة ملابس البذلة هي ما سوف يزيده أناقة الساعة الفضية النظارة السوداء الحذاء المُدبب نزل إلى الشارع ورمق الأهالي بنظرة سخط محدثاً نفسه «خلاص هانت يا منطقة معفنة سايبها لكم وماشى».. يكفي أن تقرب منه فتشبع ملابسك بعطره الفواح نزل بمحطة سعد زغلول لياشر البحث عن

(\*) هو السَّقِط من الناس وأسفلهم منزلة كونه لثيماً ويستغل حاجات الناس ويبيع لهم الحقير من المتاع والطعام.



المكتب يمر من أمامه رجل مسن وقد ترك الزمن توقيعه على وجهه المسالم يجر المسن خلفه حقيبة كبيرة بالية مليئة بالذكريات، يستوقفه صابر

- السلام عليكم يا حاج

- وعليكم السلام أيوة يا ابنى؟

- ما تعرفش مكتب الطحان للعماله فين؟

- (بأعين مشدوهة) مكتب الطحان؟!

- أيوة

- (شرد في لحظة استذكار لأرض قد نكثت الوعد) مممم.. بص انت هتمشى على طول هتخش يمين تمشى شوية أول يمين يقابلك ادخل فيه هتلاقى معرض اساهم وهما هيدلوك

- طيب متشكر يا حاج تحب اساعدك في حاجة؟

- لا مؤاخذه يا ابنى ولو فيها رزالة ممكن تشيل بس معايا الشنطة لحد المحطة اللي هناك دي؟

يقرب من معصم المسن ليأخذ عنه الحقيبة ويتجه معه

إلى حيث أراد، يُكمل المسن الشارد طريقه مودعًا صابر  
بأدعية أمانى البسطاء.

مَنْ العارف منكم يا قوم؟ يظل يسأل ويسأل والجميع  
يجيب بوجهات نظر مختلفة ومتناقضة كونهم حمقى  
يتباهون بجهلهم وكأنهم يطرحون الآراء عن ما هو في  
مخيلاتهم الخصبية «يمين يسار اذهب إلى هناك ارجع من  
حيث أتيت» إلى أن يستسلم للنصيحة الخائبة «عليك  
بسيارة أجرة» يقف فوق الرصيف تعلو وجه صابر  
علامات الغضب من كثرة الاستشارات الطائشة التي  
جعلت منه ضالاً قد أضاعه الناس بالتحري عن الطريق  
الصواب لينتهي به الحال مرغماً عند الاختيار المكلف  
لجيبه تقترب سيارة أجرة من بعيد فيشير لها بذراع ممد  
أن تتوقف

فوضى يا اسطى؟

(بنظره استغراب) أيوة انت رايح فين؟

- عند مجلس الشعب كده

٢٠ جنيه

- خلاص ماشى المهم اوصل بس في ميعادى

يركب صابر ويخبر السائق العنوان كما كتب بالورقة يتجه  
السائق إلى وسط البلد ليعبر من ميدان التحرير لم يعتد  
أن يقابل هؤلاء في حياته أن يشاهد معارضين رافعين  
لافتات معلنة الاحتجاج مطالبين بحقهم من صانع  
المفاتيح في أن ينزل من فوق عرشه الشاهق ويمنحهم  
مفتاحًا لحياة متكافئة تضمن أن يمتلك الفقير بينهم الحلم  
وأن تُوفّر له المقدرة ليشيد ذاك الحلم بأيدي عَزْل اندهَش  
صابر وكأنه عبر بجوار كرنفال القبعات البرتقالية التسع  
يلتفت إلى السائق لعله يجد بجعبته إجابة

- هو في إيه؟

- مافيش يا باشمهندز دول ناس نازلين عشان اتخفقوا  
من الدنيا واللى فيها

- بس دول كتير اوى أنا كنت بشوفهم قبل كده بس  
كانوا بيبقوا ١٠٠ أو ٢٠٠ واحد بالكثير مش كل دول!

- يا سيدى خلى الشعب يعيش وآخرتها إيه يعنى أهيطلع  
عليهم كام واد أمن مركزى يدوروا فيهم الضرب لغاية

ما يقولوا حتى برقتى وكله على بيته كربون والى فوق  
بيتفرج من البلكون

- طيب بسرعة شويه وحياة والدك أنا متأخر

- اصبر الطريق واقف

يستطرد السائق باقى حوادث الشوارع المؤلفة لا  
تستحوذ تلك القصص على اهتمام صابر الصامت في  
ضيق قد عاش عمراً كاملاً يستمع لمواعظ بشر عَصَاة  
بالفِطْرَة دون أن يشهد بعينه الجحيم المكروه فلعله أَجْدَرُ  
بالمعيشة عن دنيا عبثية المنشأ والمراد اعتاد أن تتكلم  
الالسنه دون توقف دون داع دون مجيب.. «فلتخبرنى  
أيها الحاكى المغوار ما التغير الحاصل من تلك التجمعات  
المُعْتَرِضة على كَوْنٍ لا بديل لنا سواه؟ ما النتيجة النهائية  
بعد كل تلك التضحيات بأرواح فانية مصيرها الحصاد  
عاجلاً كان أم آجلاً؟ هل سمعت يوماً عن معركة  
تستنير بها أفئدة لم تُبصر الا الظلام؟ المحصلة المكتوبة  
والمؤكدة هي صفر دائماً وأبداً صفر.. لم الشقاء لأجل  
التعساء؟ منا من جعلوه يبيع اسمه ليهجر أرضه وينسى  
أهله ويحى لقيطاً أصدقاء يشترون الموت على ضفاف

شواطئ الغربية بتأشيرة يانصيب إما أن تعيش أو تموت  
وفي كلتا الحالتين أنت مدفون سواء فوقها أو تحتها  
الخائن هو من انتزع التاج واكتسى الأوسمة وانحنى له  
التاريخ ماذا ستفعل أى لافتات أو صحاحات؟ هيهات  
هيهات..».

بعد معاناة للخروج من الزحام والوصول إلى العنوان  
المكتوب بالورقة تتوقف السيارة أمام مبنى شاهق عتيق  
معلق على أحد شرفاته لافتة عملاقة مُزينة بأنوار النيون  
الساطع [شركة الطحان لالحاق العمالة المصرية بالخارج  
لصاحبها فتحى حسن الطحان] يدخل صابر المبنى  
ويصل للمكتب ليجذب نظره موظفة الاستقبال..

المُسْتَقْبِلَةُ مُمْتَلِئَةٌ الحَدِيثِينَ ذات ملابس كاتمة للأنفاس  
تضع فوق رأسها كومة مُربطة من الأقمشة الزاهية طبقة  
سميكة من غبار أبيض معتقدةً كما أخبروها أن هكذا  
يكون الجمال عروس من السكر الأبيض اللاذع المذاق  
جالسة بمكتب مكّس بأوراق الطلبات المُلطخة بالخبز  
الأزرق الجاف غارقة بين أصوات رنين الهواتف العالية  
وضوضاء الحاضرين الغفيرة يفزَع صابر في داخله من

هَوَّلُ أَعْدَادِ الْمُقْبِلِينَ عَلَى السَّفَرِ «أَكُلُّ هَؤُلَاءِ مَسَافِرُونَ!»  
يَكْمَلُ خَطْوَاتِهِ بِاتِّجَاهِ الْمَوْظِفَةِ

- السَّلَامُ عَلَيْكُمْ

- وَعَلَيْكُمْ أَى خِدْمَةٍ؟

- أَنَا كَانَ عِنْدِي مُقَابَلَةُ النَّهَارِدَةِ الْمَكْتَبِ كَلِمَنِي عِشَانَ  
أَجِي

- طَبِّ اتْفَضَّلِ اقْعِدِ انْتِ مَعَادِكْ كَانَ امْتِي؟

-- السَّاعَةُ ٤

- السَّاعَةُ دَلُوقْتِي ٥ وَنَصَّ إِيْهِ اللَّيِّ أَخْرَكَ كَدَه؟

- مَعْلَشْ أَصْلِي مَا كَتَشْ اَعْرَفْ الْعَنْوَانَ

- طَبِّ اسْتَنِي دُورَكَ

\* \* \*

ذُو الطَّوْلِ فِي الزِّيِّ الوَقُورِ حَائِرٌ بَيْنَ الْاَلْوَانِ الزَّاهِيَةِ  
فَهُوَ الْجَاهِلُ بِمَعَانِي الْإِهْدَاءَاتِ فَالْوَرُودِ جَمِيعَهَا بَدِيعَةٌ  
مَادَامَتْ وَرُودًا وَالنِّسَاءُ أَيْضًا فَاتِنَاتُ كَوْنِهِنَّ خُلِقْنَ إِنَائًا

لولا الأزهار لباتت الأرض قائمة لا بهجة بها تمامًا كالمرأة  
 تمنح الحياة لكل ما تمسسه يداها وإذا رحلت عن الكون  
 ذبَّلت الأزهار كآبة يرجح له صاحب البستان تلك الباقة  
 لتلك المناسبة يتقبل الشاب الاختيار الموثوق منه ويأخذ  
 الباقة الملفوفة يخرج من المحل في طريقه للشارع يمسح  
 بأنامله فوق الدبلة يُخْرِج هاتفه من جيبه ليطلب المرغوبة  
 لقلبه (ميرفت) لا يمكن بدأ المكالمة نظرًا لأن الهاتف  
 المطلوب ربما يكون مغلقًا يضغط على الأزرار ليكتب  
 رسالة من جملة واحدة «وحشني وجودك المبهج بحبك  
 من غير أسئلة»

إرسال...

\* \* \*

العُرْفَة لا نَوَافِدُ لها يتجه سالم إلى أحد المقاعد التي  
 يكسوها الجلد السويدي ويضع حقيبته المستطيلة فوق  
 المنضدة المربعة الصغيرة يصافح صاحب المكان والذي  
 أشار له بدوره بالجلوس أمام مكتبه الفخم كي يكمل  
 ارتشاف القهوة مستمتعًا بإحداث صرير بقمه

- مبروك يا مِتر سالم بجد عجبتني

- (يخفض رأسه تواضعًا) دي شهادة اعتربيها يا طحان بيه

- السُّمعة سابقاك

- متشكر يا طحان بيه

- كفاية مجاملات ونيجي للشغل

- (يفتح أحد أدراج مكتبه المذهب النقوش ويخرج

عدة رُزم مستفة من أوراق فئة المائة ويرتبها هرميًا) اللي

قدامك دول جر ريق هيكونوا من نصيبك وهيكون في

أضعافهم

- (يقرب سالم يده من الثروة السريعة ليخطفها فيسبقه

الطحان بسحب يد سالم بعيدًا عن أمواله)

- اجمد أنا ما بحبش التتش لسه اللحظة دي ماجتش في

عمرك

- بس دي قضية والقضية لها أتعاب والأتعاب بتتدفع

مقدم

- لا.. انت نسيت انك بتشتغل مع الطحان يعني تديني

غلة أسلمك طحين

- وأنا صنعتي القانون



- يبقى انت كده جبت المفيد الورق هتلاقيه برة عند  
السكرتيرة ذاكر فيه براحتك واللى تلاقيه صعب قدامك  
بكلمة منى يتمحى

- تحب نبدأ من امتى يا فتحي بيه؟

- من دلوقتى بس افكر إن حياتك قبل ما تدخل من  
الباب ده غير بعد تخرج منه الاتفاق هيقيدك معايا  
والكلمة بحساب واللى يخرج برانا جزاؤه لو حكمت دم  
أنا بوابة يا تعديك يا تقفل على رقبتك

- ماتحملش هم يا طحان بيه وانا عارف أنا بتعامل مع  
مين كويس والا كان زمانى مش قدامك دلوقتى

- اتفقنا افضل انت عشان وقتك بتمن

يتصافح الاثنان يحمل رجل القانون حقيبته ويزرر بذلته  
ليغادر يرفع الطحان السماعه ويأمر السكرتيرة بأن تلبى  
طلبات المحامى وتعطيه الأوراق تعاهدوا على ميثاق  
الزيف أن يحمو الحرام بنصوص نقف مهللين لمن نحتوا  
من الخبث صنمًا مقدسًا لنسجد له عن طيب خاطر  
وأنوفنا مرمغةً بالتراب تواضعنا لما هو أدنى المراتب

فزلنا لدركِ السَّافِلِينَ مُجَبَّرِينَ عَلَى الآثَامِ مُتَهَزِينَ حَوَائِجِ  
النَّاسِ مُتَفَاخِرِينَ بِإِثْبَانِ المَعَاصِي وَلَا مَعْصِيَةَ أَعْظَمَ مِنْ  
ظَلَمِ الأَنْفُسِ.. فَيَا قَوْمَ لِمَ تَقْسُونَ عَلَى الكَلِيلِ وَلَا تَقْرَبُونَ  
الطَّاعِيَةَ بِسُوءٍ وَكَلِمًا ذُكِرَ عَلَيْكُمْ اسْمُهُ بَارَكْتُمُوهُ وَسَأَلْتُمْ  
لَهُ العَافِيَةَ؟ أَلَا يَكْفِي أَنَّهُ تَرَكَ لَكُمْ الحَضِيضَ لِتَقَاسِمُوهُ  
تُحْلِفُونَ أَنَكُمْ لَا تَحْشُونَ أَلَا المَوْلَى وَحِينَ نَسَأَلُكُمْ العَوْنَ  
تَفْلَتُوا أَيْدِيَكُمْ عَنَا وَتَتْرَكُونَنَا وَحَدْنَا بِالمَوْقَعَةِ حَامِلِينَ  
سِيوفًا مُتَكَسِّرَةً.. إِذْنِ فلتَحَلَّ عَلَيْكُمْ لَعْنَةُ العَوَزِ إِلَى أَبَدِ  
الْأَبْدِينَ.

\* \* \*

ثلاث ساعات هي ما أتمه صابر بكرسيه البلاستيكي  
لتكون المحصلة تورم مؤخرته من أثر الجلوس وكأنه  
معاقب على التأخير يجاوره مهاجر آخر من المنتظرين  
وقد أكثر الشاؤب يعتدل في جلسته ويتجه نحو صابر  
بوجهه

- انت جاي على شغل إيه؟

- انت بتكلمنى أنا!

- أصل أنا جالى عقد بـ ٢٠٠٠ درهم هشتغل هناك  
كاشير في مولوانت؟

- أنا لسه مش عارف دي أول مرة آجى المكتب

- أصلهم بيقولوا إن الدرهم هيعلى الأيام الجاية

- معرفش مش متابع

- انت غيرت الجواز بتاعك ولا لسه؟

- لسه لما اشوف إيه اللي هيحصل

- طب هات رقمك جايز نساfer مع بعض واهو نوّس  
بعض في الغربية يا صاحبى

- ٠١xxxxxxxxxxxx ربنا يوفق الجميع يا صاحبى

تخبره الموظفة أن دوره قد حان ليقابل المستخلص  
الجالس هناك بتلك الحجرة الثلجة الحوائط شاب في  
الثلاثينيات يرتدى نظارة تكسبه مظهر المشاهير شعر  
قصير لامع يستقبل صابر بابتسامة ويصافحه يمسك  
بيده أوراق هوية صابر وبعدها يرمقه بنظرة متفحصة  
سريعة احترف قراءة أعين الضالين يشير لصابر بإصبعه

بأن يجلس أمامه.

- ازيك يا أستاذ صابر؟

- الحمد لله كويس

- تحب تشرب حاجة؟

- لا شكرًا

- بص يا سيدي الشغل اللي جايلك مُدخِل بيانات في مصنع بس أهم حاجة تكون بتعرف تشتغل على وورد وإكسل المرتب ٢٠٠٠ والسكن والأكل والموصلات على الكفيل والعقد سنتين وقابل للتجديد و...

- طب بعد إذتك ممكن أشوف العقد؟

- لما نتفق الأول وبعدين مستعجل على إيه؟

- آسف كمل حضرتك

- انت معاك جواز سفر؟

- لاله

- طب تمام انت هتروح نقابة الحرفيين وتغير المهنة في الجواز لعامل عشان التأشيرة و..

- عامل!! ده أنا معايا مؤهل على! بقى بعد التعب ده كله واللى أهلى صرفوه عليا ابقى عامل!؟

- (يلتف بالكرسى ليدير ظهره ويعبث بأوراق خلفه) هي هتفرق عندك في إيه؟ ما انت ما بتشتغلش وبعدين انت لك اللي بقولك عليه ده النظام في البلد دي لو مش عاجبك انت حر في كثير منتظرين بره

إذا ضغطت فوق جرح المكدوم فسوف تجعله يصرخ سائلاً إياك الخلاص من الألم حتى وإن طعنت صدره بخنجرك بصعوبة يتلع صابر الذلة يستسلم للقدر ويلعن الظرف الذي اقتاده لهذا الموقف المشين «أأتخلى عن زهرة سنين عمرى من أجل أن أجمع من الفتات ما بالكاد يساعدنى لبدء حياة!؟ تبا لتلك الحياة!»

- (يخفض رأسه معلناً الاستسلام) خلاص يا أستاذ هعمل اللي تقول عليه...

- ماتزعلش منى لكن أنا بتكلم لمصلحتك وهو ده النظام اللي ماشى على الكل تجيلى هنا بعد أسبوع وتكون مغير الجواز بتاعك لعامل وتجهز معاك ٦٠٠٠ جنيه

تمن التأشيرة والتذكرة وما تتأخرش عشان المكان مش  
بيستنى حد

- (بنبرة أسي) حاضر...

غادر المكان المشؤوم.. يحل ربطة عنقه يمزق مظروف  
أوراقه يركل حجراً بحذاءه ضيق الصدر مكتوم الأنفاس  
مُحتبس الدمع «سحقاً لك يا وطن! أنبيع كرامتنا ثمناً  
للرغيف؟ أهذا جزاء تغريدنا ونحن صغار كل صباح  
بأناشيد تبجيلك؟ نردد أشعار العشق لوطن لم نعرف فيه  
الا الطين» تمنى لو ترك الصف الطويل كزملاءه الذين  
حلت عليهم الكرامات تذكر طفلاً بداخله كان دوماً  
يسائل الغد «ماذا سأصير حينما أبلغ بقامتى طولاً؟».

يتوجه إلى أقرب محطة أنفاق مروراً بميدان التحرير أصوات  
مُتخبطة من يطلب علاجاً ومن يطلب عملاً ومن يطلب  
سكناً متفقين على شعار (عيش.. حرية.. عدالة اجتماعية)  
انخفض بهم سقف الطموح لتصير الحقوق مطالب  
مرجوة مُغيبٌ عن ذلك العالم الغوغائى طمست الكآبة  
على قلبه ناظراً لهم بعين ناقمة «أفيقوا يا بشر ليس هنالك  
من مستجيب لن تنبت أحلامكم بأرض بور»

يواصل طريقه وصولاً لمنزله يدخل على أهله بلا سلام ليحبس جسده بغرفته ممتنعاً عن الكلام مضرّباً عن الطعام حداًداً على حاله لينام وهو يتمنى الا يستيقظ.

يستفيق من نومه مُكدر الصفو يخرج من غرفته فيجد والده المتابع بشغف للأخبار في التلفاز «هذا وقد عمت بالأمس تظاهرات يوم الغضب عدد من محافظات مصر خاصة القاهرة والإسكندرية والسويس وكفر الشيخ والمنصورة؛ لينتج عنها مصادمات بين الشرطة والمتظاهرين استخدمت فيها الشرطة القنابل المسيلة للدموع والمراوات والرصاص المطاطى لتفريق المتظاهرين هذا وقد اعتصم الالاف من المتظاهرين في ميدان التحرير وسط العاصمة المصرية مؤكدين على عدم مغادرة المكان الا بعد الاستجابة لمطالبهم وقد صرح مصدر مسئول عن.....»

- (بحاجين مقطبين يقاطع لحظة المتابعة) بابا أنا هعمل إيه في موضوع الجواز ده؟

- (عينه لا تفارق الشاشة) ابقى انزل فوت على عمك ابو مدحت واديله الورق والصور وهو هيتصرف

ماتشليش هم

- أنا متضايق اوى من موضوع عامل ده

- مش مشكله بكرة تغيرها المهم تركز في شغلك وافتكرك  
انك رايح تعمل فلوس واديك شايف رجلك حفيت  
من اللف في الشوارع على الشركات والمصانع ومالقيتش  
شغل هنعمل إيه يا ابني آدى الله وآدى حكمته

- هو في إيه يا بابا إيه ده؟

- الناس نزلت امبارح وعملوا مظاهرات بس المشكلة  
ان في ناس ماتت واتعور كثير ربنا يستر

- يعنى اللي بيعملوه ده له لازمة؟ ناس مجانيين

\* \* \*

الحلم مَبْتُورٌ والحُرُّ مَأْسُورٌ والحق مَعْمُورٌ.. ليس هو  
الوحيد الذي قَبِلَ بجرعة الكأس المر؛ بل سبقه كثيرون  
وأصبح مُشْرَعًا تحت مسمى «لقمة العيش».. إنكار  
فغضب فتفاوض فكآبة فاستسلام.. بعد اعتكاف دام  
ثلاث ليالٍ قَاطَعَ العزلة على نداء أذان صلاة الجمعة  
فحمل سجاده فوق كتفه ونزل ليلحق بباب المسجد



أنصت للخطبة أتم الصلاة ألقى السلام رأى الحاج قادمًا  
ضخم البنية مسطح الكفين جلبابه فضفاض ناصع البياض  
لحيته شعثاء لم تقر بها شفرة قط جاد الملامح.

- السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ازيك يا صابر عامل إيه؟

- الحمد لله ازيك يا شيخ عبد الحلیم؟

- الحمد لله مش هتيجى معانا يا صابر ميدان التحرير؟

- الميدان! اعمل إيه هناك؟

- المظاهرات شغالة بقالها كام يوم الناس زهقت يا صابر من  
الوضع وعاوزين حقهم وجه الوقت اللي نعمل فيه حاجة

- قال نعمل حاجة واحنا هنروح لو حدنا ولا معانا حد؟

- هنروح أنا وانت وسامح وميشو

- ما بلاش ميشو أصله عيل من بتوع النت ومش هايستحمل  
خبطة

- ما تخافش هانحميه ويبقى حد يقرب له وشوف هنعمل  
فيه إيه ها هتيجى ولا لأ؟

- طب استنى هطلع أغير هدومي وآجى معاكم..

## الجلابي (\*)

«انزل يا صابر»

ناداه الملتحي .. ثلاثة أخذ كل منهم ركنًا بزاوية المربع إلى أن حضر رابعهم المنتظر سامح؛ هو أحدهم والأصغر بينهم هو ميشيل أما الثالث فقد كان الملتحي عبد الحلیم سامح من الواصفين للعقاير وميشيل من الراسمين بالبرجل جائهم صابر ومد يده ليصافحهم فوبخه عبد الحلیم لتأخره.

- ما خلاص يا شيخ عبد الحلیم هو الميدان هيطير!  
ازيك يا دكتور عامل إيه وهتفتح العيادة امتي عشان

---

(\*) هو ماء الورد والمقصود به هو أظهر ما يستخرج من الورد.

نيجى نبارك؟

- قريب إن شاء الله ادعى لنا

- (يضع يده فوق رقبة أصغرهم سنًا مداعبًا) ازيك يا  
ميشو عامل إيه يا ض مش هتسيبك من النت ده بقى  
وتيجى تقعد معايا على القهوة؟

- قهوة إيه بس والبلد والعة!

اتجه الأربعة للميدان.. متخدين نفس الطريق مختلفى  
النوايا ما بين فضول وملل أو حماسة وترقب دخلوا  
الميدان ودخل إلى قلوبهم بصيص أمل بأرواح طيبة كنا  
قد اعتقدنا أنهم لن يبعثوا بيننا أبدًا الأربعة مبتسمين وقد  
ملا الفرح قلوبهم وتلاآت أعينهم بالدمع خاب سحره  
الفرعون في التنبؤ بالرؤيا «أكل هؤلاء نطقوا الشهادة  
بزمان اعتدناه أخرس اللسان؟!»

ثار المصريون على أنفسهم..

- ياااااااه كل دي بشر!

- مش قلت لك يا صابر الناس خلاص نطقت

- عشان تصدق كلامى إن البلد والعة.

تلك الأرواح الطيبة ترحب بوجودك فهم سعداء بك  
مقدرين قدومك أحباء قد فرّقهم ضباب العزلة إلى أن  
جمع شملهم الزمان بلقاء جليل في يوم طال انتظاره  
أبشّر أيها المُستبشّر اهتف غنّ صفق ارفع لافتة لَوْح  
بعلم افتخارٍ اقترن بالأسماء حتى الممات ليس بالمقدور  
إحصاؤهم ولا التصدى لأحلامهم ال.....

تُسكَب قَطْرَةٌ من حِبرِ أسودٍ قاتِمٍ بكأسٍ به ماء صافٍ؛  
فتكدره

تباعَدَت الأيدي تفرقت الجموع حُبِسَت الأنفاس  
غِيَمَت السماء دخانًا والصفير بالأذان يُدَوى من أزيز  
المُفَرِّعات تساقطوا كأوراق الشجر بفصل الخريف  
«كيف أمكّن حصدنا بلمح البصر؟ أهذا أنت أيها  
الموت؟ يا من نرتدى من أجله السواد؟ أهذا جيشك  
الغاشم يقذف من بناذقه الرصاصات الحارقة لصدورنا  
المكشوفة؟ أحان موعد الفراق بالساعة التي قُدِّر لنا فيها  
أن نلتقي فرحين؟ لمْ يا موت جِئْتَنَا بَعْتَةً ونحن لم نكن  
نرغب برؤياك؟ لمْ لمْ يستجب الله لدعواتنا سلفًا حين

سالناه الخلاص على يدك من تلك الحياة؟ أجتنا مهنتنا  
بالمهمة الموكلة اليك؟ مرحبًا بك يا موت بين مساكين لم  
يشتهوا من الدنيا الا حُسن الختام»

- (يخفض رأسه ويضع يده بجيبه) خد المنديل ده يا  
صابر حطه على بوقك عشان الدخان

- هو في إيه؟! إيه اللي بيحصل يا شيخ عبد الحليم؟

- خد بس المنديل دول الأمن المركزي طالعين عشان  
يمشوا الناس

- بالطريقة دي! امال لو كان الناس دي خرجوا يسرقوا  
كانوا عملوا فيهم إيه!

- شوف سامح وميشيل فين؟

(يلتفت حوله فيجد سامح وقد سقط مغشيًا عليه  
بالقرب منهم جرى اليه وحمله إلى مكان آمن)

- خد يا دكتور حط المنديل ده على بوقك

- ميشيل.. دور على ميشيل وسينى هنا أنا شوية وهفوق  
الواد ده أمانة في رقبتنا

رَكَض لا يعلم النجدة روح تائه..

أم لسقوط لا صحوة من بعده..

رَكَض وهو لا يعلم الهلاك أم لمَحيا.. لكنه رَكَض..

بين الضبابات الخائفة يلمح شبح صديقه بعيداً فنادى  
الصديق واستجاب الصديق لندائه.

- (بصوت عال هستيري) ميشو... واد يا ميشو؟! -

- (انتبه فالتفت فأشار) أيوة يا صابر أنا هنا تعالى

خَرَجَتْ من بين الأطياف المتخبطة.. رآها قادمة من أجل  
الصديق حاول صابر أن ينبه ميشيل للفرار من أمامها  
كلما ابتعد هو عنها كلما اقتربت هي منه مندفعة مصممة  
متأكدة يضمحل الزمان من حول صابر إلى أن صارت  
صراخاته مُحْتبِسة في جوفه.

العينان مَشْدُوهُتان..

والقلب مُتَضَرِّع..

والعقل مُعْتَل..

وحيد بجسد عاجز يصرخ بحسب من نفسه أنه قد يأمر







واستقبلتك الملائكة؟ سلامٌ عليك يا من عشت شقيًا  
ومتَّ مسرورًا».

نَفَخَ المَلَاكُ بروحه.. يهرع صابر مسرعًا بحثًا عن صديقه  
بعقل رافض التوقيع على مكتوب القدر يخترق الحشود  
المجتمعة حول جثمان مطموس المعالم مفكك الأوصال  
متناثر الأشلاء في محاولة منهم لستر عورته أمام رفيق  
الحى لا يعلم من هذا ينظر إلى وجهه سيزوره بكوابيس  
اليقظة تقسو عليه عاطفته لتلقى به أرضًا يبكاء جياش  
يدمع له الفؤاد يضم الصديق إلى صدره يكاد يسحق  
ما تبقى منه يندب مبحوح الصوت (ساعحنى يا أخويا  
معرفتش أحملك)

خربت الأدمغة.. تسمروا بتعبيرات متصلبة أثر هروب  
الكلمات منهم «لا نعرف الكلام بمثل تلك المواقف لم  
يخبرنا آباءنا أنه سيأتى يوم ونشهد فيه موتى مُلقون  
بالطُرقات» في الوقت الذي كان سيسود فيه الصمت  
تقدم أحدهم للتدخل لينقذ الموقف من بين أيدي هؤلاء  
المُسْتَضْعَفِينَ.

- هو كان أخوك؟

- (يكاد الدمع يمحو سواد عينيه وبنبرة كمانٍ متقطع  
النفحات) أخويا وصاحبى وحبيبي

- (يضرب كفيه أسفًا) لا حول ولا قوة الا بالله العلى  
العظيم شهيد إن شاء الله يلا يا اخوانًا مش عاوزين لمة  
هنا الله يستركم وانت ايدك معايا نشيله

- (يستهلون من حوله بأقاويل الثبات) إنا لله وإنا اليه  
راجعون..

ينتشلونه من بين أحضانه ليحل المنتحب ذراعه هرم  
الشاب ترتعش شفتاه مُصدرةً صفيراً متكرراً لتَهْتَهة  
(سامحنى) أيقرب الرجل المنقذ يده من جيوب قميص  
ميشيل ويفتشها علّه يجد ما يستدل منه على هذا الفقيد  
فيجد عنوان منزله مكتوب ببطاقة الهوية ينادى على  
بعض الشباب كى يبحثوا عن طريق لتعود تلك الجثة إلى  
أهلها خرج من بيته حاملاً الراية ليعود إلى أمه مكفناً بها  
خرج فخوراً بمصريته فخذلته مصريته.

بدأت الشمس تعلن عن المغادرة.. مازال صابر محاصرًا  
بين أنقاضٍ لأهوال سقطت فوق أكتافه بَغْتةً قد رأوا أخوا

لهم كبّلته الغفلة يقتربون منه لعلّه ينتبه الحديث معه دون جدوى يعبثون بملابسه بحثًا عن أى شىء يدل عليه فيجدون بطاقة بها العنوان يتطوع أحدهم بسيارته.

عيناه مفتوحتان على وُسعها وشفثاه متدلّيتان أصم أبكم حركته شبه معدومة جالس بالمقعد الأمامى وبجاوره سائق السيارة الذي يجاهد محاولاً إخراج صابر من صمته المخيف.

- انت جعان؟

- .....

- عطشان؟ اجيب لك عصير أو مية؟

- .....

- طب انت مش خايف اخطفك مثلاً واوديك عيادة وأخذ منك كليتك؟ بتحصل والمصحف

- .....

- مش خايف منى يعنى؟

- .....

- شكلك مش خايف أو ماعادش يفرق معاك الخوف  
يمكن لأنك شوفت الخوف بعينك وعرفت حقيقته

- .....

- عارف انت فكرتنى بحكايتى وانا صغير كنت بخاف  
من العصاية بتاعت أمى اوى عشان كانت بتضربنى بيها  
كنت بخاف من العصاية لدرجة انى كنت بترعب اعدى  
من قدام العصاية وهى متعلقة فى المطبخ كنت بنضرب  
كل علقه وعلقه لحد ما الجيران تجبظ على باب شقتنا  
ويترجوا أمى ماتضربنيش.. لحد ما جه يوم صحيت فيه  
وملقتش أمى فى البيت.. دورت عليها فى كل حته تحت  
الكنبة وفى باب التلاجة وطلعت فوق الدولاب يمكن  
تكون مستخية فى علبة البسكوت فص ملح وداب  
اتأكدت انها مش موجودة فى البيت وبقيت كل يوم اقف  
فى الشباك استناها لدرجة كنت برجع من المدرسة جرى  
عشان اقف فى الشباك عشان أكون أول حد يشوفها  
وهى راجعة عملت حاجات غلط كتير من اللي كانت  
أمى بتضربنى عليها شديت فيشة التلفزيون من السلك  
قطعت الكتب والكشاكيل بالمقص ورميت الورق على

الأرض رسمت بصباغ الروح على الحيطان ده أنا حتى  
 التجرات ورميت العصاية بتاعتهاع الأرض يمكن ترجع  
 وتضربني بيها بس المهم اشوفها.. بكيك بكيك بحرقه  
 قلب ما بكيتهاش لما كنت بنضرب بالعصاية بكيك  
 بشحنته يمكن صوت بكايا يوصل لها وترجع لي..  
 بعدها ما عا دش فاضل لي حاجة اعملها غير اني اقف في  
 الشباك استناها يمكن في يوم ترجع وفضلت على حالي  
 لا بطلت بكاء ولا أمي رجعت.. عرفت إن الأهون عليا  
 انضرب بالعصاية أو حتى يجي لي خبر انها غرقت في  
 النيل ولا إن الزمن يشعلقني في الشباك.. اني اتوجع ولا  
 انتظر.. فهمت حاجة؟

- .....

- طب اسمع دي مرة واحد.. ولا بلاش لتقول عليا  
 غلس

- (اقتربوا من الشارع الموصوف بالبطاقة فيتوقف  
 السائق بسيارته وينظر من الزجاج أملاً في أن يجد من  
 يتعرف على هوية الجالس بجواره) يا أستاذ لو تسمح  
 بس بعد إذنك

- أيوة يا باشا تحت أمرك؟
- ألاقى بيت الأستاذ موسى فين؟ أصل معايا ابنه وهو  
تعبان شوية وعاوز اروّحه
- (بنظرة فاحصة لما بداخل السيارة) أيوة ده صابر  
خلاص يا باشا أنا عارفه وهو صله تشكر يا ذوق
- طب تعالى اركب نوديه البيت أصل حالته صعبة  
ومش بيتكلم

\* \* \*

جسد مُجْهَد لروح غائبة.. ملقى بالفراش يوم بأكملاه  
بلا حركة واحدة بلا كلمة واحدة يلج على استحياء  
إلى الغرفة المُركبة المحتويات شعاع نور شمس لاسع  
يُحترق الغبار المبعثر المتلألئ ويرتطم صافعًا وجه صابر  
تنزعج جفونه الموصّدة ينهض مجبرًا من غيبوبة دامت  
وكأنها السنين ليجد عظامه متكسرة يعتدل ليكون  
جالسًا على حافة سريره يرواده تأنيب الذكريات المرير  
ينظر لحاله فيدرك نفسه وحيدًا وحيدًا محمّلًا بثأر ليرىء  
ذبح أمامه.

‘يضرُّمُ الغضبُ نيرانه بأحجارِ اليأسِ الراكدة فتشتعلُ  
خالقةً جمرَةً لهيبٍ تحرقُ من يقربها’

ثائرٌ معبأً بإرادة لن تنكسر أسفل فراغات الرصاص قرر  
صابر أن يغير اسمه فلا يصير صابراً بعد اليوم الدماء  
طبعت ببصمات على ملابسه المتسخة يده ملطخة بطين  
مزوج بالدم المرأة بها انعكاس لبريق عينيه يقف صابر  
ليقترب من المرأة ناظراً إلى انعكاس صورته يلفظ من  
بين شفاه متشققة ابتلت بلُعباب الكلمة الأولى لأخرس  
«دمك مش هيروح هدر».. يدفع بقدمه باب الغرفة  
يفتح باب الشقة ويصفعه خلفه مندفعاً إلى الشارع ليس  
له الا هدفٌ واحد مكانٌ واحد فهو المُشوّش بارتياب تام  
لا يعرف لغة الكلام يتخبطه المشاة فلا يعير لسخطهم  
انتباه نظرات حادة ثاقبة لغاضب تتحاشى الاقتراب منه.

\*\*\*

يصعد المترو التحرير مغلق نزل ب عبد المنعم رياض  
يخرج من تحت الأرض ليصطدم وجهه بضياء ساطع  
الشوارع ازدحمت المدرعات انتشرت المباني احترقت  
الحوائط باحت بالمكتوم عنه (يسقط النظام) لا

## الجلابى

يكثرث بالحاصل حوله من فوضى تدعو للفضول فلا غاية اليه الا أن يجدها يفتش الميدان بحثًا عنها بحثًا عن البقعة التي زهقت بها تلك النفس العزيزة رائحة دماؤه التصقت بأنفه إلى نهاية الأجل يقترب من الأرض التي مات فوقها ميشيل ومازالت دماؤه بها لم ينمحي أثرها بعد يغلق صابر عينيه ويخر بركبتيه ويضع كفه الأيمن فوق صدره ويبسط كفه الأيسر فوق أرض تطهرت بالدماء جفونه مطبقة لعلها تمنع سيل دمعه الحارق حلف اليمين بقسم الثوار «بحق دمك اللي سال على الأرض وبحق اليوم اللي فرقنا عن بعض وبحق اللي راح ولا يتعوض.. ما هرجع الا لما حقك يرجع» ينتصب ويرفع يديه بالدعاء يقرأ الفاتحة على روح الشهيد وكل الشهداء يمسك بأطراف أكمام قمصيه المتسخ ويمسح خده المُبتَلِّ محاولًا أن يزيل آثار الوهن الباقي ينظر حول فيكتشف أن المكان قد تبدلت أركانه عن آخر مرة يتذكره بها يختار من بين الناس من ظهرت عليه سمات السلام وبلا تحية يقترب منه وينادى عليه

- كابتن معلش بس عاوز اسالك سؤال



- (بارتباك) أيوة.. اتفضل!!

- هو احنا هنعمل إيه دلوقتي عشان نجيب حق اللي ماتوا؟!!

## الحواري (\*)

انتهت المعركة وخلفت آثار دمارها بالحى.. جرحى  
متجاورون مُنتظرين تَضْمِيد الجروح ستائر عملاقة  
أعمدة خشبية صنعوا خيامًا بأحبال وأوتاد مُلتَجِمو  
الأكتاف مرتدون سُترات بيضاء بكمّين طويلين أيديهم  
مَشغولة بلضم الغُرُزُ يتحدثون أحيانًا بلغة لم تعد بالحية  
تركوا ما يُربح لأجل ما لا يُربح جاء الحبيبان من أجل  
الوفاء بعهد الأطباء يلتفت لها ويسالها العون

- امسكى دراعه يا ميرفت عشان أعرف أغير له على  
الجرح

---

(\*) اسم كان يطلق على اتباع المسيح وهو الذى أُخْلِص واختير ونُقِيَ  
من كلِّ عيب وهو المؤيّد لكلِّ نبيّ والحامى لكلِّ رسالة

- طب استنى هجيب لك قطن وشاش.. معاك مطهر؟

- أيوة معايا

(الوافدين كثر وإستنفدوا الإسعافات فأكمل الطبيبان  
بالماء الدافئ والأقمشة لم يعد لوجودهم نفع الا  
للمؤازرة)

- هنفضل قاعدين كده يا ميرفت؟ مش هينفع

- هنعمل إيه الأدوية خلصت كلها.. عندك حل؟

- أنا هروح اجيب أدوية من البيت وهعدى على  
أى صيدلية اشترى النواقص

- الوضع خطر عليك لوحذك ممكن نكلم  
الشباب ونعرفهم باللى احنا محتاجينه وهما يتصرفوا

- انتى عارفة إن محدش هيعرف يجيب الأدوية الا  
أنا.. احنا دكاتره وده واجبنا

- مش عارفة اقولك إيه..

- ماتقوليش حاجة.. اوعدينى انك هتستنى هنا  
لغاية ما ارجع وهتخليكى فى الأمان

- طب وانت هتكون في أمان ازاي؟
- ماتخافيش عليا هرجعلك بسرعة أنا مقدرش  
أبعد عنك
- ربنا يحفظك ليا
- ويخليكي ليا

أحصى قائمة المتطلبات وترك ميرفت ليكمل مهمة الإنقاذ ذهب مسرعاً كي يعود سريعاً رفضت أن تودعه واكتفت بنظرات السلام اتجهت إلى أحد أركان الخيمة وتكومت على نفسها محتضنةً أرجلها بذراعيها تغمض عينيها مُتوحدة مع السكون تاركة الناس في انشغالهم فقد تحولت إلى السُّكُون «سأعتزل الحياة حين عودتك».

\*\*\*

السؤال المطروح من قبل صابر جعل الشاب يطم شفتيه متعجباً يبحث عن إجابة مُرضية لذلك العابر فيقتبس من نصوص آيات الميدان.

- خليك معانا نفضل ايد واحدة نسقط الفساد

ونحاكم الجاني

- وانا معاكو وعهد عليا ما امشى من هنا الا لما يتحقق العدل بس إيه الدبابات والجو المكهرب ده؟

- أصل الداخلية وقعت امبارح وانسحبوا ف الجيش نزل عشان يسيطر على الوضع ما تيجى معايا اعرفك على اصحابى؟

تخطو أقدامهم نحو البداية بداية تسطير الحكاية.. حكاية من كنا ننتعهم بالخائبين كررتها الالسنه مرارًا (العيال دول مش نافعين) حسبناهم أعواد قش وجيلين فأعادوا الينا هيبة كنا قد فقدناها قهراً مجبرين هدموا أسوارًا شائكة كنا نعبر أمامها مرتعدين كان العيب فينا و كنا عن العيب للبصر غاضين في الميدان هناك المتكلم والمستمع المعارض والمؤيد الكهل والرضيع التافه و الحكيم العالم والجاهل؛ فحتمًا ستجد شبيهك بينهم قطعه منتقاة من أرضٍ ذُكرت أنفًا بكتب السماء.

- سلامو عليكمو.. أحب اقدم لكم أ.... هو انت اسمك إيه صحيح؟

- صابر صابر موسى
- (ينحنون برؤوسهم لأداء التحية فيتجه صابر بدوره ليصافح كل منهم).
- احب اعرفك أدهم خريج علوم وبيدور علي شغل وده ياسر مدرس عربى أما الصغير ده بقى يا سيدى محمد ناصر بس بندهله ناصر
- تشرفنا
- الشرف لينا يا صابر
- بعد إذتك يا صابر احنا هنروح نجيب أكل للناس هنا تيجى معانا؟
- لا أنا هفضل هنا
- وانت يا ناصر؟
- روحوا انتم أنا هستنى مع صابر

\* \* \*

يبعث محتويات أدراج خزانة خشبية ويضع كل ما بها من زجاجات قائمة اللون في كيس بلاستيكي يكدس محفظته بها استطاع أن يجمعه من أوراق مالية في الصيدلية يشير للصيدلي بإصبعه على علب موضوعة فوق أحد الأرفف جمع الحاجات ولم يتبقى سوى توزيعها على محتاجيها ابتسامة رضا عما أنجزه في وقت وجيز أيعبر من أحد الشوارع القريبة من الميدان حاملاً أكياس سوداء اللون وعندما اقترب من ناصية ذاك الشارع وجد مجموعة مكونة من أربعة شباب رأوه فنَادَوْه فاستَوْقَفوه.

- استنى هنا يا جنتل انت رايح فين؟ وايه اللي معاك ده؟ أكل؟

- لأ دي أدوية جاييها معايا عشان المصابين اللي جوه

- آآه أدوية! هو انت دكتور ولا حاجة؟

- ايوة دكتور وممكن اوزيك الكارنيه بتاعى

- (ينظر لزملائه ويضحك باستهزاء) ده بيقولى كارنيه انت فاكرنا واقفين في لجنة؟

- لجنة إيه؟! أنا بتكلم معاك عادي
- بتكلمنى عادي كمان لاااا انت لما تكلمنى  
تضرب تعظيم سلام فاهم!؟
- (نظرات ضيق)
- (يصرخ في وجهه) انت بتبص لي كده ليه؟  
يلا اضرب تعظيم سلام
- آآه ده انت فاضى بقى طب ممكن بعد إذتك  
تعديني وبعدين نبقي نضرب سلامات لبعض زى ما  
انت عاوز؟

- مش هتعدى الا لما تضرب تعظيم سلام!

- اللهم طولك يا روح ماتخلينيش أ...

تهشم الزجاج وسال سائله.. سقطت الأكياس من يده  
ليتحطم محتواها من أدوية وطعام وزجاجات مياه لم  
يُنهِ جملته ليجد نفسه قد هَوَى أرضًا بعد أن تلقى ركلة  
مباشرة بمشط القَدَم في أسفل معدته انهالوا عليه ضربًا  
فقَبَعَ أرضًا واضعًا يده فوق رأسه ليتحاشى الضربات  
قدر استطاعته التفوا حوله وأخذوا يتراقصون يركلونه



بأقدامهم، يدهسونه بأحذيتهم، يسبونه بالسنتهم  
 ويبصقون عليه الذعر. كتم صرخاته فلم يَتَبَقَّ لَهُ شَيْءٌ  
 الا التأوه يفرغون فوق رأسه ما تبقى من زجاجات  
 أدوية أخذوا أمواله وطعامه وتركوه وحيداً وحيداً بين  
 فُتَات بَلُور وسوائل لزجة وكرامة مَبَعَثرة رفع عينيه  
 ليلمح أطيافاً لأشباح كانت تقف هناك كانوا هناك  
 يتفرجون عليه من تلك النقطة البعيدة ولم يخطر ببالهم  
 إنقاذ ذاك المُسْتَدَلَّ اختاروا الاستمتاع بمشاهدة ذلك  
 العرض لم توجهه الكدمات الدامية بالقدر الذي المتبه به  
 تلك النظرات المحقّرة تدمع عيناه أسفاً «لم أجد منكم  
 النجدة وأنا من جائفكم بالنجدة».

\*\*\*

ذهبوا وَتَرَكوهُمَا مَعًا.. كان ناصر طويلًا نحيفًا خمري  
 اللون كعود قمع يانع عيناه تنظران للكون عبر عدسات  
 زجاجية مستطيلة محاطة بإطار أسود كَرَبُونِي ترددات  
 حنجرتة منخفضة نسخة لصور بشرية متكررة بأيام لا  
 نميزها فننسى أسمائهم جلسا فوق الأرضفة.

- الا قولّي يا ناصر هو إيه اللي نزلك؟

- بتسال ليه السؤال ده؟
- عادى يا سيدى بدردش معاك
- بص هو أنا من زمان وأنا نفسى اعمل حاجة  
تتسجل باسمى.. حاجة كده يكون لها معنى يعيش  
والناس تفتكرنى بيها بس دايمًا كان اللي حواليا بيتريقوا  
عليا وكنت الاقى نفسى لوحدى فأعيش زيهم واعمَل  
زى ما بيعملوا وما احاولش اكون مختلف اكون أنا ولما  
جه اليوم اللي شوفت فيه ناس بتعترض على المفروض  
علينا وبيطالبوا ان حقوقنا ترجع كانت دي أول مرة في  
حياتى احسّ إن ممكن فعلاً اكون الإنسان اللي نفسى فيه  
واقول لأ أنا كمان اقول لأ لكل واحد حبسنى في قالب  
مش بتاعي اقول لأ لكل حاجة بتحاسب عليها وما  
اخترتهاش حسيت ان هي دي البلد اللي نفسى اعيش  
فيها وساعتها قولت لنفسى جالك الوقت اللي ممكن  
تكتب فيه اسمك يا ناصر
- ياه... بس أنا مختلف عنك شويه
- ازاي يعنى؟

- أنا نازل اكمل مكان اخويا
- امال هو فين؟
- استشهد الجمعة
- في الجنة إن شاء الله يارب اكتبها لنا

\* \* \*

ازتدّ المنكسر عن مذهبه.. اتجه إلى أقرب منبع مياه واغتسل أزال عن وجهه لزوجة الدوّاء لكن لم يداوِ الدوّاء آثار جراحه عاد للميدان فوجدها كما كانت حيث تركها اقترب منها وجذبها من معصمها فجعلها تقف تالمت من قبضته فأفلتت يدها عنه تنظر له في استعجاب «ليس أنت من انتظرته» لا يهتم لاستنكارها له ويكرر فعلته فتسحب يدها في ضيق تقترب منه وتمسك يده برفق

- مالك؟ إيه اللي عمل فيك كده؟ وفين الأدوية؟
- مفيش أدوية احنا هنمشي
- نمشي! مالك فيك إيه؟

- ماليش بس ما عاdash ينفع نقعد هنا تانى عشان  
المكان فيه بلطجية

- وفيه مصايين وناس عاوزه تتعالج

- يبقوا يروحوا أى مستشفى احنا أصلاً مش  
هنعرف نعملهم حاجة وكل ده في الفاضى

- في الفاضى! مش كلامك قبل ما تمشى مالك؟

- قلت لك ماليش ويلا بينا عشان نمشى

- طب اهدى وبتكلم وتعرفنى إيه اللي عمل فيك  
كده؟

- لما نروح هنتكلم يلا

لم تجد بُدًا الا مطاوعته فلعلّه تَعِب ويرغب في الارتياح  
يجذبها بقوة من يدها للثالثة فتترك يده وهى منزعجة  
منه وتمشى بجانبه غير راغبة بمرافقته ابتعدت الأكتاف  
المُلتَحمة.

\*\*\*

جائهم الليل بسواده.. تقلصت الحشود من حولهم ولم يبق الا من هم على شاكلتهم من فقدوا عزيزاً أو من افتقدوا في الدنيا العزيز من ضيّعوا ولم يدّم لهم بالأرض مُلكٌ تذكروا ماضي أتى بهم إلى حاضر حاضر ضاقت فيه الأنفس بالأمانى.

- كل يوم أسوأ من اللي قبله والأسوأ بتاع بكره هيجى الأسوأ منه بعد بكره مفيش أى شىء في الكون ده يدى الواحد أمل انه يعيش حتى لما بنعمل حاجات من اللي كانت بتفرحنا زمان بنلاقينا مش حاسين بيها وبنحزن اكر اننا فقدنا الإحساس ده ونتمنى اننا ماكناش كبرنا أبداً ولا حتى اتولدنا

- اكيد هتحزن لأنك بقيت بتعامل بجسدك بتدور على الخلود في أشياء ميتة

- ما كل الوجود ميت إيه اللي هيفضل حى؟

- الروح يا صابر.. الروح

- الروح ازاي يا ناصر؟

- مش هتقدر تحس بالجسمال في الأشياء الا لما

تتعامل معها بروحك يكون قلبك هو اللي بيوجهك  
وسابق قرارك وبتعمل الحاجة لأنك حاسس بيها حتى  
لو كانت ضد المنطق والواقع فرحتك ساعتها بتتحضر  
جواك بكل تفاصيلها في المكان والناس والريجة بتكون  
هي الفرحة الأولى والمجردة من أى خطة أو وعى فرحة  
زمان هي الحقيقة لأنها كانت بدون بحث عن الفرحة  
كانت الفرحة انك تعيش بحب شىء خير وطيب و  
برىء

- طب إيه اللي خلّى الفرحة دي تموت؟

- الفرحة مش بتموت احنا اللي بنموت

- بنموت ازاي؟ ما أنا بكلمك اهو!

- بتكلمنى بجسد مش عايش.. الدنيا بطبيعتها

فانية الحاجات بتختفى بتبعد بتلاشى ومع كل حاجة

كنت بتحبها واتدفنت جزء من روحك بيموت ويدفن

معها وكل مدى تموت فيك أشياء وتدفن وتفضل كده

لغاية ما تبقى عايش جسد من غير روح تبقى انت كده

حى ولا ميت؟

- مَيِّت
- إحيى روحك
- أحيى روحى!
- بإنك تحاول تنشر المحبة بدون مقابل بين أرواح  
مُحِيطة بك.. تأكلها ترعاها تساعدنا تحضنها تبسم لها  
امنح تُمنح روحك هترجع لك حَبَّةً بِحَبَّةٍ وهتلاقى  
نفسك قادر تحس بالفرحة حتى لو معملتش أى شىء
- أحيى روحى من غير ربنا؟
- الله روح الله محبة
- (اكتفى بالابتسامة)
- شوفت انت دلوقتى بدأت تحيى روحك
- (تذكر ناصر الأم التي يعتصرها القلق وهو لن  
يحتمل عتابها فقد حان موعد عودتك بنى) هو انت قاعد  
هنا لإمتى يا صابر؟
- لما الناس دي كلها تمشى
- انت ناوى تبات هنا؟

- لا جنب الخيم اللي هناك دى
- لأ قصدى هتنام في الميدان؟
- ماليش مكان غيره لو عاوز تمشى انت عادى
- معلىش عشان أمى لوحدها في البيت  
وما يصحش اسببها
- ولا يهملك.
- أنا هبقى ارجع بكرة العصر كده إن شاء الله  
هلاقيك فين؟
- هناك عند الخيم دي
- (يحتضن كل منهم الآخر ليوذعه) هجيلك  
بكرة ومعايا أكل وميه وبطانية كمان عشان تعرف تتغطى
- يلا انت عشان ما تأخرش في رعاية الله
- لَوَّح له بكفه وبين الظلال اختفى.. يمشى صابر متجهًا  
للخيام فوجدهم يُعدّون الطعام يقرب على استحياء  
فيجلس بالقرب منهم يستشعر وجوده أحد الجالسين
- اتفضل مد ايديك شكلك ما كلتش من الصبح



- تشكر يا ذوق لسه واكل.
- انت بخيل ولا إيه؟ خد بس ما تتكسفش
- (وكزة خفيفة بالكوع أسفل الصدر تعنى أنه لا بأس ويضع أمام صابر طبق يحوى حفنة أرز عدس معكرونة)
- متشكر
- لما تخلص أكل قول عشان الشاى
- التكّيّة.. يأخذ ولا أحد يمانع الطلب مذاق حسن ينبع من بين أضلاعه مذاق مغموس بقطع الخُبز المتكسرة فإنها العائلة الكثير يتقاسم القليل مشاعر ثمينة تُداول بعملات نادرة «لو عرفوا قيمتك يا ميدان لما تركوا الدخول اليك بالمجان» يبحث عن ركن يحتويه بعد أن تسلم نصيبه من الأغطية على الأرصفة الموحشة ينام مطمئناً ويغط في سُبات عميق استعدادًا لغد غدًا أخبرونا أنه لن يحدث.

\* \* \*

مطأطىء الرأس شارد الذهن يتابع بنظره خطوات

قدميه يديه بجيوب معطفه ضوء القمر الخافت جعل  
الظلال تتبعه وسط الزحام يمشى بلا صُحْبَة ذرورة  
الأسواق يتعثّر فيسقط ينظر خلفه ليرى من هذا المنتمّر  
فيجده ميشيل ينشرح صدره ويهم واقفاً ليحتضنه يمرر  
يده عليه ليتفحصه.

- في إيه يا صابر مالك؟ وخف شويه ايدك صعبة  
يا اخي!

- انت كويس؟ مافيش فيك حاجة؟

- لأ هيكون في إيه يعنى؟ مالك انت؟

- أصل ك.... ولا يهملك المهم انك كويس

- أيوة انت شايف إيه؟

- تمام اهو وزى الفل ولا أكن حصل ح....

- المُجَاوِرِي يا صابر

- حاضر من عنيا الاتينمش عاوز حاجة تانية؟

- سلام يا صابر.

- استنى هو إيه المجاورى ده؟

«قوم اصحى الشمس هاتلسعك ادخل جوه الخيمة»

- (يستفيق من نومه ويتسائل بلامح عابسة)  
مجاورى إيه ده؟

- (يكشف عن أسنانه ضاحكًا) طب قوم  
الشمس شكلها كلت دماغك واغسل وشك بشويه الميه  
دول الفطار جهاز خلاص

\* \* \*

تتناثر حبات الماء في السماء دون أن تهبط لتلامس التراب  
عاد صابر للنقطة التي اتفقا أن ينتظره عندها عدة دقائق  
ويجد ناصر قادمًا وتظهر عليه علامات الإجهاد مُقبلًا  
نحوه شاقًا للطريق بينهما.

- اتأخرت عليك يا صابر؟ معلش أصل المكان  
زى ما انت شايف

- لا انت ولا اتأخرت ولا حاجة وايه اللي في  
ايدك ده؟

- هو أنا هسيبك كده من امبارح من غير أكل ولا  
ميّه؟

- مش عارف اقولك إيه بس أنا كلت الحمد لله

- مش مهم خليلهم معاك بعدين تحتاجهم

\* \* \*

ارتفع سقف الطموحات وازدادت الأمور تحديًا لمطالب باتت أوامر أعد الرئيس لتلك اللحظة خطابًا وقام بالقائه عن طريق ما يدعى بالبث المباشر «أحدث اليكم في أوقات صعبة تمتحن مصر وشعبها وتكاد أن تنجرف بها وبهم إلى المجهول.. تحولت تلك التظاهرات من مظهر راقٍ ومتحضر لممارسة حرية الرأي والتعبير إلى مواجهات مؤسفة تحركها وتهمن عليها قوى سياسية.. لقد بادرت بتشكيل حكومة جديدة بأولويات وتكليفات جديدة تتجاوب مع مطالب شبابنا ورسالتهم وكلفت نائب رئيس الجمهورية بالحوار مع كافة القوى السياسية.. إنني لم أكن يوما طالب سلطة أو جاه ويعلم الشعب الظروف العصيبة التي تحملت فيها المسؤولية وما قدمته لوطني حربًا وسلامًا.. إن هذا الوطن العزيز هو وطني مثلما هو وطن كل مصرى ومصرية فيه عشت وحاربت من أجله ودافعت عن أرضه وسيادته ومصالحه وعلى

أرضه أموت وسيحكم التاريخ عليّ وعلى غيري بما لنا أو علينا» ينغلق المذيع فتنة الكلمة أحدثت ما لم تقدر عليه شرارة المدفع شق الميدان نصفين تبدّد الصوت الواحد.

لقد أظهر بادرّة خير فلنعطيه فرصة.

لكنه مخادع وما أكثر وعوده الكاذبة!

الوعود حدثت لم تسمعوا ما قال؟ ولو خاننا فسنعود لميداننا!

لا لن تَبْرَحَ الأَرْضَ حَتَّى نرى العدالة لنسترد الكرامة ولنستنشق الحرية.

الا تعقلون؟! كفانا فوضى ودماء! هل الموت هو مرادكم؟ كل ما طالبنا به يُنفَّذ وكل ما أردناه يتحقق فلقد استبدل الحكومة ولن يترشح للرئاسة وسيُخرج الفاسدين من البرلمان وجعل له نائباً عن منصبه اليس هذا بكاف لكم؟

أمعنوا البَصْرَ فهو لم يُجِبْ مطلبنا بإسقاط نظام هو رأسه وتلك أوراقه المحترقة القاها الينا لنرض بما يريد مقاصدنا مُعلّقة وواضحة كالشمس.

فليكن الرب في عونكم ويعيدكم إلى رشدكم سنترك لكم الميدان فأنتم تحاربون بمعركة لا نعرف لها نهاية لكم ما شئتم فَإِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بالوهم أما نحن فلا نَبْتَغِي الا الحق مرادًا...

\*\*\*

صابر ساخطًا «ماذا أجنى من هذا الهراء؟ أين حرمة الدم وأين ما جئت لأجله؟ لِمَ تجاهل الشهداء؟ لن أخرج الا منتصرًا أو محمولًا» ذرات الرمال تنساب عبر بلورة لساعة رملية مع كل دقيقة تنقضي يتناقص معها الحضور تهبط بهم العزيمة يغادر المقتنعون الميدان ينزف ناصر مؤيدًا للمُغَادِرَةِ «وإن جنحوا للسلم والميدان أصبح ملكنا ولن يمنعنا أحد بعد اليوم فيكفينا أننا حطمنا قيود السكوت عن الظلم».

- هتعمل إيه يا صابر؟ خلاص الراجل بيتكلم  
كويس وبكرة نشوف ولو كذب نرجع تانى  
- نرجع فين!! لو مشينا نبقى ضيعنا كل حاجة  
وبعدين هو ماجابش ليه سيرة الشهداء؟ يا يتحاكم الجانى  
يا اموت ويدفنونى

- تموت إيه بس تعالى معايا نروح.. عجبك  
نومتك في الشارع دي؟

- مش هسيب مكانى يا ناصر مش هسيب مكانى

- خلاص أنا هسيبك على راحتك وإن شاء الله  
بكرا يعدى على خير وربنا يهديك

- ماتزعلش منى بس ده عهد عليا

صابر مستاء من رؤية الحق يُسَلَب مقابل وعد زائف  
وناصر راضٍ بما حققه ويستبشر بالغد خيرًا على أحد  
مداخل الميدان يتصافحان بسلام الوداع ينطلق كل في  
طريقه صابر عائد ناصر مغادر يستديران فيعطى كل  
منهما ظهره للآخر مبتعدًا عن بعضهما لا يدريان أن  
الغدر قد رفع خنجره ليطعنهما أملًا في القضاء عليهما  
فغدًا سيظهرُ الوجه الدميمُ للسياسى.

\*\*\*

وَدَعَّ الْمُتَحَابِّانِ أَحَدُهُمَا الْآخَرَ.. لَمْ يرافقها إلى شارعها كما  
اعتادته مُسْتَكْفِيًا بإشارة يد من بعيد ليشاهدها تقرب  
من بيتها ارتعب من مُحْيِلَةٍ أنه إذا أصابها مكروه فلن

يَحْمِيهَا وَسِيكْتَفِي بِالْمُشَاهَدَةِ لَا يَعْرِفُ هَلْ صَارَ جَبَانًا  
أَمْ كَانَ جَبَانًا وَلَمْ يَكُنْ يَدْرِي؟ وَهِيَ أَكَانَتْ مِنْزَعَجَةً مِنْ  
غِلْظَةِ قَبْضَتِهِ لِعِصْمِهَا أَمْ مِنْ غَرَابَةِ هَجْرِهِ وَدَوَامِ صِمْتِهِ؟  
هَلْ تَلِكُ هِيَ بُبُوَّةُ افْتِرَاقِ أُمَّ مَجْرَدِ حِكَاةِ أَنْفِ وَسْتِزْوَالِ؟

\* \* \*





وهي أكانت منزوعة من غلظة قبضه لِنَقْصِها أم من غرابة هجره ودأوم صنه

«هذا وقد خرج العديد من مؤيدي السيد الرئيس حاملين الأعلام واللافتات معبرين عن حبهم وتأييدهم ويتجه الكثير منهم إلى ميدان التحرير الذي يتواجد به عناصر مندس» يطفئ التلفاز غصبا مما سمع ويلعن الرئيس والمرؤوسين «إن وُلدي لم يُعد بعد، جارنا تم اغتياله بحضوركم بينما من قَضَى نَحْبَهُ وَمَنْ يَنْتَظِرُ فإلى متى المَكَابِرَة وكأنا عبيدكم!»

تراه عابسا فلا تترك اللحظة تعبر خالية فتعلق بطيبة.

- حرام عليهم اللي بيعملوه ده! مش كفاية الشباب اللي مات يوم الجمعة لأ وكمان طلع بخطاب محدش فهم منه حاجة

- هو مِتَبِت في مكانه ومش عارف إن نهايته قربت

- بس هتخلص على خير إن شاء الله

- مش هتخلص أبداً ده دم يا أم صابر دم

- إن شاء الله خير وربك قادر على كل شيء

- يارب

- طب افتح لنا التلفزيون نشوف إيه اللي حصل وهات قناة الأخبار

- (ضغط الأزرار بعصية) كلهم بيكذبوا أهو يا ستي يعنى هيجيبوا إيه وبعـ.....

ذهول الصدمة يُحرس الستهم.. مشهد مواجهة بين جيشين يتراشقان بالحجارة ويحترق أحد تلك الصفوف الجمال والأحصنة حاملين السيوف و الشُّوم المذيع بالتلفاز «مواجهات بين مؤيدى مبارك ومعارضيه تسفر عن سقوط العشرات من الجرحى والمصابين مع عدم الإمكانية لإسعاف...» القلق يُحكِّم قبضته على قلبه (ربنا معاك يا ابني وإن شاء الله منصورين).

\* \* \*

زار مؤنسة وحشته وابنة جيرانه.. ما لحق به من الم كان أقسى من أن يحتمله وحيداً فالنسيان ليس بدواء النفوس المنكسرة أراد ان يستحضر رجولته بين أيدي محبوبته جائها ليجالسها ففاجأته مرتدية ثياب الخروج مستعدة للنزول معتقدةً إنه جاء ليصطحبها معه كما

كانوا بالأمس.

- انتى لابسة ليه يا ميرفت؟ رايحة فين؟
- لابسة عشان هننزل سوا الميدان زى ما كنا اتفقنا انت مش هتيجى معايا؟
- أنا مش هنزل الميدان ولا انتى كمان نازلة
- يعنى إيه الكلام ده؟
- يعنى محدش فينا هيروح المكان ده تانى وانفضلى غيرى هدومك عشان مفيش نزول كفاية اللي حصل امبارح
- ايوة بقى أنا عاوزه اعرف إيه اللي حصل امبارح؟
- قلت لك هحكى لك بعدين اسمعى الكلام وغيرى هدومك يا ميرفت مفيش نزول
- لأ هنزل وانت مش هتمنعنى من حاجة أنا عاوزه اعملها لمجرد انها رغبتك وبس فهمنى فيه إيه؟
- هنعيد في الكلام ده تانى يا ميرفت يا حبيبتي

أنا خطيبك وليا حق عليكي بحكم علاقتنا وانا شايف  
مصلحتك انك تفضلى في البيت والمفروض تكونى  
جنبى في الوقت اللي بكون محتاجك فيه مش تسيبني  
وتنزلى هو عناد وخلص؟!!

- اكون جنبك لما تكون محتاج لي فعلاً إنما انت  
عاوزنى جنبك عشان مش قادر تعمل اللي أنا بعمله مش  
قادر تواجه مشكلتك اللي منعاك من النزول وتكمل  
معايا في اللي احنا حقيقى عاوزينه أنا معرفش حصل لك  
إيه امبارح بس انت للأسف بتواجه مخاوفك بالهروب  
عشان تقنع نفسك انك صح وعشان كده عاوزنى معاك  
واشجعك على اللي انت بتعمله وماتبقاش لوحدك لكن  
أنا لو اخترت اقعد جنبك هكون بخسرك وبضحك  
عليك انزل معايا وماتخافش!

- فلسفة فارغة.. الميدان فيه مجرمين ضربونى  
وسرقوا فلوسى وكسروا الأدوية اللي كنت جايبها لكن  
اللي كسرنى بجد إن الناس وفقوا يتفرجوا عليا ومحدش  
ساعدنى يبقى اساعدهم ليه وهما في أول وقعة ليا اتخلّوا  
عنى؟ مش هكون وسط خونة وجبناء ومش هسامح

نفسى لو حصلك مكروه وما قدرتش احميكي

- اللي انت بتعمله دلوقتى مايفرقش أى حاجة  
عن الناس اللي انت قلت عليهم جبناء لأنك اتخاليت  
عن محتاج لك في وقت محنته بفعلك ده هتكون نسخة  
منهم ولو العكس كنت هتقف تتفرج عليا وانا بتضرب  
وهتسكت إنزل معايا عشان تثبت لنفسك انك مش  
زيهم وانك بتعمل الصواب حتى لو موقفك ضعيف

- واحنا حاولنا نعمل الصواب والصواب خذلنا  
يبقى نجرب مرة واحدة اللي احنا فاكرينه غلط يمكن  
يكون هو ده الصواب.

- الصواب والغلط واضحين وانا اخترت اكمل  
للنهاية (تركه وتتجه ناحية باب الشقة)

- لو خرجتى من الباب ده يا ميرفت يبقى  
خرجتى من حياتى.. اختارى!

- حياتك للجبناء وانا مش جبانة

لا تُبالي.. نَحَطُّهُ المْتَمَرَّةُ وعيناه مدهولتان «أهذه حقًا من  
وَهَبْتَهَا أيامِ عمرى؟!»

يعكس بريق عينيه صورتها وهي تفتح الباب وتخرج  
 حقاً تخرج وهي تعلم إنها كسرت أنفه و حطمت قلبه  
 وعصفت بعواطفه لكنها فعلت ذلك وهي متمنية ما  
 يُستبعد حدوثه أن يعود اليها وأن يختار رفقتها كما كانا  
 ولا يجعل للفراق منفذاً اليهم الا يقدر على وحشتها  
 فينادى عليها أن تعود وستعود لحظات ولم يحدث شيئاً  
 مما جال بخاطرها نظرت على إصبعها إلى دبلة تركت  
 أثرها على جلدها «لو أحبني لكان معي الآن» ترقرق  
 الدمع في العين لأجل وداع جاء بلا دعوة.

\* \* \*



يعكس بريق عينيه صورتها وهي تفتح الباب وتخرج حقاً



عَرَقٌ يَتَصَبَّبُ بِغَزَاةٍ عَفْرُ الْأُتْرَبَةِ يَحْجِبُ الرُّؤْيَةَ الْهَوَاءَ  
 مُعَبَّأً بِرَائِحَةِ الدَّمَاءِ الرِّئَاتِ تَرْتَجُّ بِشَهْقٍ مُتَقَطِعِ الْأَذَانِ  
 تَكَادُ تَصْمُ مِنْ ذَاكَ النُّوَاحِ الْمُتَوَاصِلِ أَصَابِهِمُ الْهَلْعُ  
 لِيَرَكُضُوا مَشْوَشِينَ يَحْمِلَانِ أَحَدَ الْمَصَابِينِ بَحْثًا عَنْ مَكَانٍ  
 يَحْتَمُونَ بِهِ وَأَمْلًا فِي إِيجَادِ الْمَسْعَفِ يَضَعُ صَابِرٌ يَدَهُ عَلَى  
 رَأْسِ الْمَصَابِ لِيُوقِفَ التَّرِيفَ.

- (ينبهه) بالراحة يا صابر خف ايدك عن راس  
 الراجل انت بتضغط بطريقة غبية

- (يصيح وهو يرتجف) ما انت مش شايف هو  
 بينزف جامد ازاي؟ بص سبيه معايا ودور على دكتور في  
 الخيام اللي هناك

صابر يحتضن المصاب بين ذراعيه باضطراب شديد ينزع  
 قميصه ويمزقه صانعاً منه رباطة يلفها بعناية حول رأس  
 المصاب (لَمْ يَنْسَ) ترك قطعة ممزقة تحمل دم الصديق  
 ويضعها في جيبه ناصر عاد مسرعاً بصحبة طبيب الإغاثة  
 معطف أبيض معلق عليه ورقة مكتوبة عليها بخيط اليد  
 (دكتور) دَنَا الطَّيِّبِ إِلَى الْمَصَابِ.

- هو ده يا دكتور.
- (نظر لصابر أمراً إياه) فك الرباط عشان اشوف الجرح
- فك الرباط يا صابر
- (يتفحص الطيب الجرح) الحمد لله الجرح سطحي
- طيب خليك هنا معاهم يا ناصر وانا هروح اشوف إذا كان في حد تانى اتعور ولا لا
- عاد للمَوْقَعَة.. تتصارع بداخله مشاعر متضاربة بين غضب من المعتدين وخوف على المعتصمين بين سعادة لرُجُوع ناصر وحزن لسيل الدماء يقترب من أحد الأزقة المجاورة من أحداث المواجهة أمأساة متناسخة فجماعتين متقابلتين متماثلتين كأنهم انعكاس بالمرآيا لنفس الأنفس كلهم مغلوب على أمره لو فَتَّشْت بينهم لوجدتهم صابر أجمعين ولكن تم التفريق بينهم تحت مسميات وضعها المُحْتال (مؤيد - معارض) بسحر المكيدة تبذلت الأسماء إلى اسمه ونسوا الوان العَلَم الذي يرفعه كلاهما اختلط

العذب بالمالح سحقا لكل إنسان تتصارع لأجله «صنعتم منا مجرمين ونحاكم على جرائمكم تحشدوننا لمعركة لسنا بطرف فيها تتلاعبون بنا وكأننا الدمى وأيديكم القدرة ملطخة بدمائنا».

قاتل أو مقتول «أصمُد لبقاء ميداني كي لا يضيع حقي أو أنكسر ليخمدوا أنفاسي ويخفي صوتي الاستسلام انتحار آسف أنا وطني لم تترك لي اختيارا أجبرتني مرغما على نزالك وجعلتني غريمك دون إرادتي فياليت هنالك غير ذلك سبيل»

يلتقط صابر أحد الأحجار ويقذفه عاليا متمنيا أن يخطئ الحجر والا يُصيب يبحث حوله عن غطاء يحمي به من مطر الحجارة ينادى عليه أحد حاملي القطع الخشبية.

- تعالى هنا انت رايح فين؟
- بدور على حاجة أحمى نفسي بيها
- (يتقدم أمامه) أنا همسك الخشبة دي وانت ترمى طوب من ورايا فهمت قصدي إيه؟
- بس ما تمشيش بسرعة

وضعوا خطة لمواجهة هجوم متدافع استمروا على وضعهم تارة للأمام وأخرى يتراجعون للخلف لم تكف الحجارة لهزيمتهم لدى الآخرين خطط بديلة تنشق الصفوف من أمامهم فيخرج فارس يمتطي فرساً ينعكس لمعان سيفه بأعينهم يراه قادمًا فيلتفت لصاحب الدرع محذرًا.

- خلى بالك في حصان جاى عليك!

- بتقول إيه؟! تعالى هنا تحت الخشبة عشان مافيش حاجة تيجى فيك

- (يصرخ) ابعدم....

منع الكلام.. تتضارب دقات قلبه كرقع الطبول شعيرات يده انتصبت الحصان يعدو مسرعًا تاركًا الهواء يموج بين شعر رأسه يجتاز الحواجز كى يصل يروّض الحصان مُتَهَوِّرًا يَبْتَغِي قتل أحدهم كما اتَّفَقَ دُونَ تَفْكِير وَلَا رَوِيَّةَ عقل صابر يستحضر الذكرى «إنها هي التي دهست الصديق».. التفكير غلطة يركض نحو الرجل صاحب الدرع ويدفعه من أمام الحصان فيزيحه من غفلة

القرار وينقذه من قدر محتوم مصدوم على الأرض بأعين  
منبهرة ينظر إلى صابر برهبة ترك الفزع أثره على ملامحه  
تسربت المعانى من بين يديه فصَار أبكم التَعَايِيرِ.

سقط الفارس من فوق فرسه ركضوا نحوه وانهالوا  
عليه ضرباً لعقابه تركهم صابر لصراعهم واتجه للسيف  
السيف الذي سقط من يد حامله ينحنى ويلتقطه ثم  
يلتفت وراءه ويتجه إلى الناجى صاحب الدرع يُهديه  
السيف الذي كان سيُطعن به وقد منحه الفرصة المُحَالَة  
يقرأ الرجل ما تبوح به أَعْيُن صابر ويهمّ واقفاً بعد أن  
أخذ السيف يشير له صابر بإصبعه ليدلّه على من أراد  
بهم السوء المُذنب محاصر واضعاً يده فوق رأسه كى يتقى  
شر عقابهم المبرح ينتشله صاحب الدرع من بين أيديهم  
كقطعة قماش مبلة يرفع السيف عاليًا فيبتعد الكل من  
حوله في لحظة وجلة من المحيطين به لرؤية الحكم يُنْقِذ  
لأسير القدر.

دَانَ فِدَائِنُ فِدْيَانٍ .. قاعة المحكمة نُصبت بلا عمَد السيف  
مازال مرفوعاً والرقاب تتابعه متأهين وفي أعينهم  
انعكاس انقلاب الأقدار فإنه الحكم الذي نَأشِدوه

ولم يقربوه «ما هذا؟ ماذا فعلت؟» يلقي صاحب الدرع  
السيف بعيداً.

- قوم اقف انت فاكرني هقتلك؟ ده درس لك  
عشان تتوب.. ربنا غفور رحيم وكتب لك عمر لو حد  
غيري كان قطع رقبتك

جاحظى الأعين مشرعى الأفواه.. حُكِّم البراءة لم يكن  
بالحسبان لكنّ القاضى هو رب قانونه فلا يملكون حق  
الاعتراض على قرار هو سيده الا مُتَمَرِّد عَلَى النَّاسِ رَافِعًا  
صوته منادياً بالعدل الذي أراده وانتظر أن يشهده فالعفو  
يا سيدى ليس شأنك وحدك.

- انت فاكر نفسك مين يعنى عشان تسيبه؟ ده  
ولا له قيمة ولو مات محدش هيبكى عليه وتلاقيه قابض  
عشان يقتلنا لو انت كنت مكانه ماكانش هيرحمك

- (يلتفت له) السيف عندك على الأرض لو عاوز  
تنتقم انزل خده بإيدك واعمل اللي انت عاوزه واوعدك  
محدش هيعارضك من كل الواقفين وأولهم أنا  
أنهى الجدل فالدماء لعنة والأرواح ليست بالهينة يأخذ

الحاكم بيد المحكوم ويطلق سراحه يمشى محاولاً  
الاختباء خافياً نفسه بين الحشود توأرى عن القوم غير  
واع للحاصل فقد تأجل ميعاده لحين آخر.

\* \* \*

رَقِيبٌ عَتِيدٌ.. كان واقفاً هناك بين الحطام ممسكاً بعصاه  
مداعباً جدائل لِحِيَّتِهِ لم يترك لبصره أن يَحِيدَ عن صابر  
عيناه تبوح بلهفة وكأنها وَقَعَ بصَابَتِهِ فلا يَتَبَيَّنُ الصَّبَابَةَ  
الآ مَنْ يُكَابِدُهَا عند انقضاء الناس ترك مَقَامِهِ واتجه  
لمن كان يَرْقُبُهُ وبحث عنه ترك صابر المعركة لجنودها  
وابتعد لكنه ظل بالقرب منهم كان شيخنا يقف بالناحية  
المقابلة لصابر ونظر في عينيه إلى أن أحس به صابر وبادله  
النظرات ارتعد صابر من هيئته العجيبة ونظراته الثاقبة  
تَأَنَّى المَلَكُوتُ بهما وترك ما للناس للناس تَشَقَّقَ شَفَتَا  
شيخنا لتبوح بكلمات لا سَامِعَ لها الا أذن صابر «يا من  
هو مَحَلٌّ ناظري وهو المُسْتَمِعُ لندائي.. يا من حَسِبَنِي أتيته  
سَائِراً على قدمي وأنا المُعَلَّقُ في مَخَالِبِ الطير مُحْطَنِي إلى ما  
شَاءَ العَلِيمُ مَقْصده جئتك بما نَبَأَنِي الحَجِيرُ بِمَكُونِهِ وعن  
سؤالك مُجِيبٌ بما تَهَادَى لِبَالِكِ من أسراره فلا شأن لك

بعالمى فالموهوم وهمه الوهم كالسايح ببحر الفكر غرقان  
فبالجواب آتيتك وبالخلاص آتيتنى فانه لانا المجاورى  
وانك لانت النيراسى».

خرق الكلم روح صابر ولبث السكينة في جسده  
طرفت العين فاختمى المجاورى استفاق صابر من سباته  
ونظر حوله فلم يجد لأثر الشيخ وجود جرى من حيث  
رأى الشيخ فلم يجد لقدمه موضع أثر ولا لظله متبين  
تلبث بمكانه وأوصد أذنه بكفه عما سمع محاولاً استعادة  
الرسالة.

\*\*\*





فَبِالْحَوَابِ أُنْبِتِكَ وَبِالْخَلَاصِ أُنْبِتْنِي، فَإِنَّهُ لَأَنَا الْمَجَاوِزِي وَإِنَّكَ لَأَنْتَ النَّبْرَاسِي

ناصر جالس بجوار المصاب بأحد الخيام بعد أن قام الطبيب بتقطيب جرحه لا إمكانيات للعلاج ولكن يظل الإصرار وحده سر الشفاء المصاب يرقد ممدداً على الأرض رأسه على ساق ناصر تتفتح عين المصاب شيئاً فشيئاً.

(بصوت منخفض) أنا فين؟

.. انت في المستشفى الميداني عشان اتصبت بس  
ربنا حماك والحمد لله انت كويس .

.. إيه اللي جابني هنا وانت مين؟

- احنا لاقيناك واقع على الأرض وجنباك هنا  
عشان تتعالج وانت ممكن تقولى ناصر

استعادته الغيبوبة.. ناصر يدرك أنه ما هي الا لحظات  
وسيستفيق المصاب يضع كومة من قماش تحت رأس  
المصاب ويسبقه للتنقيب عن ماء وطعام لجأ لمن وجد  
عندهم الإغاثة ليرشدوه إلى مكان بعض اللقييات  
وزجاجة بها بعض قطرات نت المياه يعود ويجد أن  
المصاب قد أفاق على غير المتوقع.

- انت إيه اللي صحاك دلوقتي؟ المفروض تنام شوية
- انت مين وبعدين انت مالك اقوم ولا لا انت هتصاحبني؟
- انت لحقت تنسى أنا اللي جبتلك الدكتور عشان الرباط اللي في دماغك ده
- طيب ما فيش مية هنا؟ أنا عطشان
- اتفضل المية وجبت لك أكل هما شويه صغيرين بس اللي عرفت اجيبهم
- (ينظر للزجاجة الصغيرة باشمئزاز) هي صغيرة اوى كده ليه! مش مشكلة أحسن من ما فيش انت اسمك إيه؟
- ناصر وبعدين انت المفروض تستريح دلوقتي
- ماشوفتش علاء كان معايا برضو هتلاقه كان لا بس قميص اسود
- لا ماشوفتش الا انت بس معلى المكان كان

زحمة ومعرفناش نطلع حد الا انت

شرب الماء وأكل الخبز وناصر متضايق من فظاظته ولكن يسامحه «إنه يمتلك العذر لن أتركه وسأظل بجانبه إلى أن يتعافى».

- انت شبعت ولا اجيب لك تانى يا...؟

- سالم.. ومتشكر مش عاوز حاجة

- طب لو احتجت حاجة أنا جنبك هنا قدام الخيم دي ومش همشى

- طيب

يخرج ناصر من الخيمة يجلس سالم ويستلقى على الأرض ينظر حوله في ضيق ويشرد بذهنه «ما الذي جاء بى إلى هنا؟ هذا ما نناله من اتباع الحمقى ندبة بالرأس كنت أتصور أن الأمر سينتهى اليوم وسيُفَضّ الميدان وتعود الحياة لسابق عهدا نزلت حسب رغبة صديقى الذي أراد منى أن أقنعهم بالمغادرة وكى يعلموا إنهم ليسوا بمفردهم من يمتلكون القرار فلنا رأى لا بد أن يُسمع ليس من المفترض أن يستمر الوضع أكثر من ذلك فقد

ساءت أحوالى وتوقفت سبل معيشتى الدولة يحكمها القانون وبالقانون وحده تُرد الحقوق ظفّرنا بوعد إذن فليَم العناد؟!».

\* \* \*

استعادوا الأرض.. يقل العدد الذي يواجههم إلى أن يستسلم ويتفرّق لا فائدة من التواجد يتذكر حينها العودة لناصر يقرب من الخيام ويرى ناصر بالمكان الذي تركه به.

- انت اتأخرت اوى ليه كده؟
- أصل انت ماشوفتش اللي أنا شوفته المهم الشاب المتعور عامل إيه؟
- اتحسن بسرعة الحمد لله
- طب الحمد لله هو فين دلوقتى؟
- جوه الخيم تلاقيه نايم ولا حاجة
- أطلّ القمر بظلاله الباهتة.. يجلسان متقارئين صابر يرتكز براحة يده فوق خدّه حاضر بروح غائبة ناصر يجلع

## الخواري

نظارته ويستند إلى الرصيف يتأمل النجوم منادياً غدٍ يعُم  
فيه الأرض السلام الأول يحاول استيعاب رسائل الغيب  
والآخر يتوجه بقلبه إلى الله متمنياً أن يستيقظ على حلم  
ما زال يراوده تمثالان من الجرانيت يخرج سالم من الخيمة.

- انت لسه قاعد يا ناصر؟ أنا كنت خايف انك  
تمشى

- (يبتسم له) لأ ماتخافش أنا وعدتك اني مش  
هسيك

- معلش ملاقيش معاك سيجارة أصل دماغى  
مصدعة

- لا مش معايا انت معاك يا صابر؟

- لأ مابدخنش استنى هشوفلك مع الراجل اللي  
هناك ده

- معلش هتعبك معايا

- (ذهب صابر سائلاً عن سجائر سالم قلق فقد  
أضاع صديقه) ناصر انت مالقيتش الشاب اللي كلمتك  
عنه؟



يُوجِه بقلبه إلى الله مَسْنِيًا أَنْ يَسْتَيْقِظَ عَلَى حِلْمٍ مَازَالَ يَرَاوِدُهُ

- شاب مين؟
- اللي لابس قميص اسود علاء
- لا
- أنا قلقان وعاوز ادور عليه هو كان معايا آخر مرة عند الكوبرى كده
- طيب صابر يبجي وهنروح ندور عليه ما تقلقش
- (عاد صابر بالسجائر وكبريت وجده مع أحدهم يأخذ سالم منه العلب) متشكر
- (بعيون راجية) صابر.. عاوزين نروح ندور على صاحب سالم عند الكوبرى
- سالم مين؟! ونروح فين دلوقتى في أم الجو ابن الـxx ده؟! انت مجنون!
- سالم ده يا أخى وبعدين مش هيحصل لنا حاجة الا اللي ربنا كاتبها احبى روح يا صابر انت نسيت كلامنا ولا إيه؟



- لا مانسيتش ماشى بس نفضل مع بعض مش كل شوية هندور على حد فينا

أخذ صابر يمينهم وسالم يسارهم وتوسطهم الحواري.. انطلقوا بحثًا عن أمل تأتته برغم ضعف الاحتمال تظل المحاولة أقوى احتمالًا قاوموا ظرفًا يمنعهم من مجرد الاعتقاد بالفكرة فكرة النجاة «لم نعد نخشى شيئًا فليس هنالك ما هو أسوأ» صابر يستخف بالمحنة ويروى لهم طرفة يضحكون بالوان زاهية تبهج تلك اللوحة الكئيبة المحيطة بهم لتظل الحياة تحمل ما هو مُستبعد اقربوا من الكوبرى يشير سالم للأعلى لعلهم يجدون علاء هناك.

- انت شكلك هتعبنا معاك تلاقيه في بيتهم من زمان هو هيسنتى ليه!

- أهو ندور انت وراك حاجة وبعدين انت مش لوحدك أنا وناصر معاك.

- هاهاها أول مرة اضحك من ساعة ما نزلت انت بتتكلم ولا كإن في مصايب حوالينا خالص يا صابر.

- انت لسه فاكر تكمل ضحك؟ حاجة وحت في  
دماغى قوت احكيها لكم.. غلطان أنا!
- لا م.....

السكّنة الفجائية .. يرتطم إطار النظارة الهش بالأسفلت  
القاسى فتتهشم متكسرة يصمت ناصر لتصمت من بعده  
الحياة «لم توقفت عن الضحك يا ناصر؟» يتلفت صابر  
وراءه يرى سالم وكان البرق قد صعقه ليتجمد الدم في  
عروقه أنامله ترتجف بشدة، اللعاب يسيل من فمه  
انتفخ ويريد جبينه أبصر جحيم النشور حيا ناصر ملقى  
على الأرض وتتدفق الدماء من رأسه أشلاء جمجمته  
نراها بوضوح لم تتسن له فرصة مواجهة أو هروب لفظ  
النفس الأخير وعينه ترسلان اليهم تحيات الوداع سقط  
ناصر ليسقط معه كل ما تبقى من براءة اغتيل برصاصة  
كان مستقرها بين عينيه عيني قتيل لم يبصر قاتله سقط  
ناصر لتسقط معه كل ذرة محبة بقلب سالم الذي قد أبصر  
جانبا من روح ناصر الطيبة جانبا كان كفيلا بأن يضيء  
ظلاما مقيتا «من ذا الذي سائر النفس الحبيثة واتخذ  
من شيطانه إماما؟ لم كل هذا العدوان الدامي؟ ما هي

الجريمة التي تستوجب مثل هذا العقاب؟!».

صابر ضائع المضمون عيونه تملئها الحسرة حاوي الأحاسيس يرجو إخماد الأنين بداخله «إلى متى سأظل أرى أحبّاء يتساقطون؟ أسأظل هكذا لا أنقذ روحًا ولا أكفّ الأذى عنها؟ فقط أجمع أشلاءً وأحمل جثثًا وأشيع جنازات؟ كم يحتاجون من أرواح يحصدونها كي يتيقنوا إنني لن أستسلم؟ كم يريدون من دماء يسفكونها كي أحلف بها إنني لن أركع؟ لن أرضى بما يشاؤون لم أعد كما كنت قبلاً بتُّ سَبْحًا غَيْرَ جَلِيٍّ اليكم كل جميل بداخلي انمَحَى ولم يتبق لي ما أبكي من أجله».

يَتَخَبَّطُهُم الفزع كأمواج بحر هائج.. محاولين التواري عن منظار القناص الذي يحصد أرواحًا تلو الأخرى كما لو كانت أجسادهم ليست سوى دُمَىٍّ وكما لو كانت حياتهم مجرد لعبة فيا لهم من أهداف سهلة أمام ذاك المُخْتَبِيٍّ وِراء منظار سلاحه معتقدًا إنه قد صَارَ بِمِثَابَةِ الهِ وَيِيده أن يعفو أو يُمِيت اقتل اقتل أيها السَّوَاطِيَّ فَحْتَهَا مصيرك الالقاء بحفرة لا قاع لها.

ينتشل صابر جثمان ناصر ويحمله بين ذراعيه لا علم له

من أين تأتيه القوة ليحمل هذا الجسد الميت ليعدو به يهزول سالم بجوارهم في محاولة منهم للوصول لغطاء يحميهم يقترب الشباب من صابر كي يساعده في حمل جثمان ناصر لكنه يرفض في غضب يكمل الطريق إلى أن يدخل أحد الخيام يضع صابر جثة الرفيق برفق يتركه وهو في هوانٍ شديد لم تمر فترة كافية لطيب جرح قلب المسكين المصائب أشد من الصبر لتسقط آخر قطرات الأسي ويجفّ من بعدها الدمع.

يصمد صابر من أجل أن يظل حارسًا للأمانة أمانة جسد الشهيد ما زال سالم معهم يأمرهم الطيب أن يغادروا لأن المكان لا يحتمل تواجد أحد يصبر على البقاء.

## السَّوَاطِي (\*)

سَلِمَ سَالِمٌ مِنَ السَّوَاطِيَّ.. وبعد أمر الطبيب وجد حاله  
مَطْرُودًا لا يعرف أين المتَّجِه رأسه مزدحم بأصوات  
صاخبة عينيه زاخرة بدمع امتزج بالدم «منذ متى والقَتْل  
هَيِّنٌ وَهُوَ عِنْدَ الْحَسِيبِ جَسِيْمًا؟ أتلك هي وصيتك  
يا آدم التي ورثناها عنك؟ إِذْنٌ فَلَيْتَظْفَى نُورُكَ يا سماء  
ولتُلْجَمَ وُحُوشُكَ يا أرض ولتخمد نيرانك يا جحيم  
فلقد قُبِضت روح لست بزَهيدة وليكن في علمك أيها  
الجاني إنني من سيُلقيك حيا بأسفل السَّعِيرِ وكيفما كان  
وَصَفِكَ وَأَيْنَمَا كَانَ مَجْبُتُكَ فسوف أعرس عليك وحينها  
ستصم الأذان من صراخ آهاتك وترتعد الأفتدة من

(\*) هو الخادم للسلطة من قبل الحاكم حيث يطلق على الشرطي الذي  
معه السَّوْطُ وَيَضْرِبُ بِهِ تَفْهِيدًا لِأَمْرِ الْحَاكِمِ.

مشهد عقابك».

كلما ازداد أحباؤك كلما ازداد ضَعْفُكَ.. إلى جوار جثمان ناصر بجسده الواهن يغوص ببطن فراغ مُعْتِمٍ من أثر استفهام بدأ بكلمة «لِمَاذَا؟» يَسْتَرْجِعُ أولَ تعارف بينهما بالميدان يلومه ذلك الصوت الملىء بالشَّجَن «لَيْتَنِي لَيْتَنِي لَمْ أَنْزَلْ مِنْذُ الْبَدَايَةِ لَقَدْ كُنْتُ فِي غِنَى عَنْ هَذَا أَى غَم هَذَا الَّذِي يِرَافِقُنِي وَأَى مَعِيشَةَ تَلِكِ الَّتِي يُحَاصِمُنِي فِيهَا الْفَرَحُ؟! لَمْ أَنَا حَيٌّ؟ يَكْفِي مَا عِشْتُهُ لَنْ أَتْرَحِزُ مِنْ مَكَانِي لَنْ أَلْقَى السَّلَامَ عَلَى أَحَدٍ فَلَعَلَّ الْمَوْتَ يَتَرَصَّدُهُ لَعَلَّنِي أَنَا الْمَشْرُومُ الَّذِي يَحِيطُ بِهِمْ فَلْتُرْحَنِي يَا مَوْتُ لِأَتْرِكَ الْأَرْضَ وَمَا عَلَيْهَا مِنْ بَعْضَاءَ».

يسأل الطبيب عن أقرباء لناصر

- حد هنا يعرفه؟

- أيوة يا دكتور أنا وهو اسمه ناصر محمد ناصر

- طب انت تعرف أهله؟ أى حد قريبه عشان

يرجع لهم؟

- لا يا دكتور كل اللي اعرفه عنه اسمه بس



بجسده الواهن، يغوص ببطن فراخ مُغْتَمٍ من أثر استنهام بدأ بكلمة "لماذا؟"

- هنعمل إيه دلوقتى مش هينفع نسيبه هنا حرام!
- مافيش حل يعنى يا دكتور ممكن نعمله؟
- أمرى لله احنا كده هنضطر نوديه المستشفى ونقيده هناك على انه مفقود بس ده غلط
- غلط ليه ما كده كويس وعلى الأقل أحسن من وضعه ده وانا هدور على أهله وادهم عليه
- المشكلة انهم هينقلوه المشرحة وانت عارف إكرام الميت دفنه
- (يصمت للحظة لأخذ المشورة من عقله الفقير لِتَبْوَاءِ المحاوله بالفشل) يعنى مفيش حل تانى؟
- للأسف لأ والمشكلة انك هتسيبه هنا النهارده وبكرة ربنا يسهل ونوديه إن شاء الله
- لا طائل من الكلام يُومئ صابر برأسه معلنا استسلامه للعالم ويأسه إلى العالمين.

\* \* \*



هَائِمٌ عَلَى وَجْهِهِ.. لا يدري سالم ما البَاعِثُ لالام رأسه  
المربوط يفتش عن ما قد يداوى أوجاع جَسَدِ وَنَفْسِ  
ليس بمقدوره أن يَمحو المشهد المشهد الذي كلما انتهَى  
بدأ المشهد الذي سيشهد على كل من شاهده نرى شابان  
يحملان صندوقًا مليئًا بالزجاجات الفارغة يقتربون من  
سالم ويتحرون عن مصدر للنار بحوزته يتذكر الكبريت  
الذي أعطاه إياه صابر.

- انتو عاوزين الكبريت تعملوا بيه إيه إن شاء  
الله؟

- انت هتحقق معانا؟ براحتك عاوز تجيب  
الكبريت هاته مش عاوز فيه غيرك

- ما بالراحة شوية الكبريت اهو بس هتعملو بيه  
إيه؟

- انت مش شايف الضرب اللي علينا؟ لازم نرد  
عليهم العين بالعين والبادى أظلم

- مش فاهم برضو يعنى هتعملوا إيه بالأزايز  
والكبريت؟

- تعالیٰ معانا وانت تعرف

«وما المانع؟ العنف لا يُرَدُّ الا بالعنف وسأجذبك يا من ظن نفسه قادرًا وستسال الموت ولن تناله أنت من اجتازَ دَرْبَ الدماءِ فلتستعذ من شياطينِ أنت من حللت أساورها بيديك».. استطاع حاملو الصندوق أن يجمعوا كمية من القناني الزجاجية الفارغة ليضعوا فيها بنزين ويقوموا بسدها بقطعة قماش ويشعلوا طرفها لصنع قبلة من النيران النيران بلا عَزِيزِ بلا أَعِينِ تبصر لتختار أو قلب يُحس فيميِّز النيران تحرق كل ما اقترب منها سواءً كان صَدِيقًا أو عَدُوًّا «لا يهم طالما قد وقف أمامنا إذن فهو ضدنا».

\* \* \*

«الفَحْشَاءُ مَنبَعُ التَّشْرِيعَاتِ.. القوانين عَمِيَاءُ لا تجرّم خَطِيئَةَ لا تراها الغلَبَةُ ستظل دوماً للقوى الحُجَّةَ حتى وإن كان ظالماً الحق بيننا ليس بما نعرفه يَقيِنًا ونحفظه عن ظَهْرِ قلبٍ وإنما بما نَتَمَكَّنُ من إثباته وإن كان بالزيف لن أتبع سخافات قوانين أُدرك حَقِيقَتَها المُسَوِّهَةَ قد قتلوك يا ناصر وسيلأقوا ما لم يأخذوه في الحُسبان ولسوف أحرقتهم أجمعين».

يلتقط الزجاجاة المشتعلة ويقذفها أمامه ليمنع من يحاول  
الاقتراب لحرق من يتحرك ناحيتهم تصيب قذائفه  
من نوى ومن لم ينو الفؤاد المنفطر صار كظيماً خشع  
لوحش كاسر بداخله وحرره مازالت النيران متأججة  
كلما ازدادت كلما استزاد وكلما احترق شيء وهوى كلما  
تفحّم جزء من قلب سالم وصار رماد قد أحرقتة نار  
الغضب والكراهية.

\* \* \*

لَفَّ الْمَنْدِيلُ مِنْ أَعْلَى الرَّأْسِ لِأَسْفَلِ الْفَكَ وَأَوْثَقَ الرَّبَاطُ  
بِعُقْدَتَيْنِ.. طَوَى الْجَسَدَ وَهُوَ مُسْتَلْقَى فِي ثَلَاثَةِ أَثْوَابٍ  
بِيضٍ بَسِطَتْ فَوْقَ بَعْضِهَا الْبَعْضَ وَرُدَّتِ الْأَطْرَافُ الَّتِي  
تَحْوِيهِ ثُمَّ وَصَلَ بِسِتْرِ كَافٍ اكْتَسَى كُلَّهُ بِالْكَفَنِ الْوَجْهَ  
وَكَانَ يَوْمَ التَّقْيِ الْجَمْعِ خَارِجَ الْمَعْرَى.

عُمِدَ السَّيْفِ وَسَطَ الْمَلْحَمَةِ.. وَسَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا صَنَعْتَ  
حِينَهَا وَسُجِيبُ «كُنْتُ أَشَاهِدُهُمْ يَمُوتُونَ فَأَنَا الشَّهِيدُ  
الْحَيُّ أَنَا الْمَلْعُونُ الْوَفِيُّ أَنَا الْأَثَرُ الْبَاقِي لِذِكْرِي أَتَذَكَّرُهَا  
كَلِمًا ذُكِرَ اسْمِي فَلَا أَنَا مِنْ كُنْتَهُ قَبْلًا وَلَا سَأَكُونُ مِنْ أَرَدْتَهُ  
يَوْمًا».

جلس صابر بجوار الجثمان مصابون من حوله وموتى  
 يحيطون به مُسْتَكْفٍ بِهَا حَمَلْتَهُ أَكْتَا فِهْ مِنْ هُمُومِ أَسْرَهُ  
 اليأس وجعله فاقداً للمعنى أمفتقراً للإحساس «ومن  
 أين العزيمة طالما لن أستمع لكلمات ناصر؟ وبِمَ يَنْفَعُ  
 الحماس وميشيل من كنت أَسْدَ بِهِ أَزْرِي؟ سأعود  
 الأذْرَاجَ لِديارى إلى حياتى البائسة التى لم أعهد سواها  
 سأنام بفراشى وأنتظر أن يَقْبِضَنِ الرَّحْمَنُ يَكْفَى مِنْ  
 اِرْتَحَلُوا عَنى وَأَخَذُوا مَعَهُمْ بَعْضًا مَنى كَفَى دِمَاءً لَنْ  
 يَرُدَّهَا التَّنَاحُرُ كَفَى نيرانًا لَنْ تَنْطَفِئَ بِالدَّمُوعِ فَلَنْ تُبْلُغَ  
 الغاياتُ بِالتَّمَنَى».



صَبَاحُ أَشَعَّتِ الشَّمْسُ بنورها فى أَرْجائه.. لتظل العين  
 سَاهِرَةً لَمْ تَذُقِ النُّومَ لَقَدْ تَشَوَّهَتْ مَعَانِي الكَلِمَاتِ فَهُوَ لَمْ  
 يَسْأَلْ عَلَى حَالِهَا وَلَمْ يَجْجُلْ صُورَتِهَا بِرَأْسِهِ أَفَلَتَ يَدُهُ فَانْقَطَعَ  
 الوَتْرُ الوَاصِلُ بَيْنَهُمَا هُنَاكَ ذَاكَ الثَّقَلُ الهائل على كَاهِلِهَا  
 النَّجِيلِ الأَسَى يَحْتَضِنُ مِيرَفَتِ «لَا لَمْ أَخْطِئُ فَالرَّجَالُ لَا  
 يَرِيدُونَ طَاعَةَ النِّسَاءِ وَحَسَبُ بِلْ وَمَشَاعِرُهُنَّ أَيْضًا أَنْ  
 تَكُونَ المَرأةُ جَارِيَةً بِإِرَادَتِهَا يُؤْمِنُونَ بِأَنَّ التَّمَامَ فِي الخُنُوعِ

فلا يزال الناس ينظرون إلى التمرد ضد المقرّر بنفس نظرة  
عُصَيَّان العبيد للعبودية فالمرأة التي تفعل ما لا يوافق  
عليه الرجل تجعل من نفسها شهيدة أنا لم أَرِدْ يوماً فراقاً  
لكنه لم يترك لي خياراً عندما تركني فلم أجد نفسي حينها  
إلا مُغَادِرَةً!.

\* \* \*

لا عدل بأرض قد شاع الفساد دُخانها بسماؤها وأمَّسَكَ  
المَطَرُ « لِمَ أَعْتَقْتَ إبليس وحللت أصفاده؟ لِمَ لَمْ تجعله  
سَجِينِ ظلامه حين سَيَّدَ عرشه فوق قَبْرِ آدَمَ؟ سُحِقَ  
رَأْسُ البَرِيِّءِ بحجر ومُجَّدَ السَّفَاحِ بدمائه.. لِمَ تُنَحَرِّقَابِ  
الصالحين قَرَابِينَ لتُسْقَى الشجرة الطيبة وحين الحصاد  
يجنّى المنافقون ثمار التضحية؟! .. أين أنت من كل هذا! لِمَ  
لا أرى عَظِيمَ قدرتك وجلال جَبْرُوتِكَ؟ أَصَابَنَا وَأَهْلَنَا  
الضَّرُّ ونحن لعفوك سائلين فتغافلت عن حاجاتنا بتنا  
مُنتَظِرِينَ المُعْجِزَةَ في زمن بلا أنبياء أنت من أفقدتني  
اليقين بك فما أنا أعلنها جَلِيَّةً بأني لن أنصَّرعَ لاسمك  
بعد اليوم».

‘مِن بَيْنِ صُخُورِ صَلْغَاءِ بَصْحَرَاءِ جَرْدَاءِ نَبَّتْ زَهْرَةٌ

اجتذبت ملامح الحزن على وجه صابر تلك السيدة العجوز وبعفوية اللطف اتجهت اليه لتواسيه تقرب منه بخطواتها المتعكزة وردائها الأسود الفضفاض البسيط ربّت برقة على كتفيه فأيقظته فالتفت اليها.

- مالك يا ابني شكلك تعبان اوى فيك إيه؟

- (نظر لها وهو مستمسك بالصمت يلوح لها بيده مطالباً إياها بالابتعاد يخفض رأسه في الأرض معلناً نهاية الحديث)

- (تبتسم له لتخفف عنه) معلى يا ابني اعذرني بتطفل عليك لكن لاقيتك حزين وزعلان قلت اشوف مالك وبالمرة اتعكز عليك ما انت في مقام ابني برضو (مازال صامتاً، مازال يحرق بالأرض)

- أنا مش قصدي اضايك أنا هاسكت خالص وهفضل جنبك لغاية المحنة دي ماتعدى

\*\*\*

سَوَدَّ بَهَاءَ اللُّوْحَةِ الزَّاهِيَةِ.. لم يعد هناك من قناني تلبّي رغباته حصدها جميعًا ينظر حوله بحثًا عن أى شيء آخر يلتفت للذين جاءوا به

- عاش يا بطل انت خلصت الأمايز كلها لوحدك  
محدث قدر يهوب ناحية هنا.

- أنا عاوز أمايز؟

- اصبر بعتنا نجيب وبالمرّة تريح دراعك

- دراعى إيه بس دلوقتى مافيش أمايز ليه؟

- ما قولت لك بعتنا نجيب هو احنا هنضرب  
الأرض تطلع مولوتوف!

- هما بيحبيو منين؟ هروح أنا وارجع بسرعة

- هتلاقى فى بوابة عمارة من اللي هناك دول

فى مرحلة ما من حياتك تكتشف إنك صرت شخصًا  
آخر لم تكن ستقابله أبدًا.. يذهب من حيث أخبروه  
غير مُكْتَرِثٍ بها خلف من دمار شغف الثأر طغى عليه  
يدفعهم من أمامه من أجل الوصول يزيح كل من

يعترض طريقه ويعوق حركته لم يعد هذا سالم الذي كنا قد بدأنا معه الرواية.

\* \* \*

الضِيَاء شاع بالأزْكَانِ إلا أن النور لم يكن ليدخل قلبه المَهْمُوم.. مُكْتَفٍ الذراعَيْنِ ضَامِّ الرِكْبَتَيْنِ مُضْرِبٌ عن الكلام غير مبال بسؤال السيدة عما جاء بها اليه غربت عنه لما رأت منه الإِعْرَاضَ أراد الوحدة ولكنه لم ينلها حين اقتحم أحدهم خلوته والقي عليه السلام.

- السلام عليك أيها النبراسي

- (اقشعرَّ بدن صابر من نبرة صوت مميزة له)

وعليك السلام

- انهض انهض يا ابن طريد الفردوس

- (وقف صابر عن فوره)

- سَلْ

- اسال!





غربت عنه لما رأته الإغراض

- سَلْ عَمَّا بَجَوْفِكَ وَمَا أَضْمَرْتَ رَوْحَكَ
- أَنَا مَنْتَظِرُ الرُّؤْيَا لِلْأَجْوَابَةِ
- تَحَرَّرْ مِنْ حَيِّزِكَ فَالْعَيْنُ لَا تَرَى مَا تُبْصِرُهُ الرُّوحُ
- سَلْ!
- لَوْ كُنْتَ تَعْرِفُ عَنِّي فَسْأَلِي بِكَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ.. لِمَ؟
- وَلِسْؤَالِكَ جِئْتُ مُلَيَّبًا سَلْ!
- لِمَ الشَّرُّ مَتْرُوكٌ؟
- اللَّهُ طَرَحَ الشَّرَّ بَيْنَكُمْ لِتَخَيَّرُوا فَإِذَا أُكْرِهْتُمْ عَلَى أَنْ تَفْعَلُوا الْخَيْرَ فَلَا تَنْفَعُ مِنْهُ فَيَكُونُ عَمَلًا تَأْتُونَهُ غَضَبًا
- لِمَ الْعَدْلُ مَرْفُوعٌ؟
- وَلَقَدْ صَرَفَ عَنِ أَنْفُسِكُمُ الْعَدْلَ وَاسْتَأْثَرَ بِهِ فَإِنْ تَرَكَ فِيكُمْ مَا كَرِهْتُمْ مَرَارَ الظُّلْمِ لَتَشْتَهُوا رَغَدَ الْعَدْلِ وَتَرْجِعُوا إِلَى اللَّهِ
- لِمَ الْعِقَابُ مَفْلُوتٌ؟
- قُلْ لِمَ خُلِقَ الْجَحِيمُ؟ وَإِنْ قَرَّوْا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَلَا مَنَاصَ مِنَ الْمَوْتِ وَكَانَ عَمَلُهُمْ إِلَيْهِ مُحْضَرًا إِلَّا مِنْ تَوْبَةٍ

تسبق يَوْمَ الْمَمَاتِ

- لِمَ الشَّقَاءُ مَخْلُوقٌ؟
- أَفَلَا يَكُنُ اللهُ قَدْ فَضَّلَ بَنِي آدَمَ عَلَى الْمَلَائِكَةِ وَرَفَعَهُمْ دَرَجَاتٍ بِأَنْ جَعَلَهُمْ يَشْقُونَ وَيُكَابِدُونَ
- لِمَ الْإِلَهُ مُحْجُوبٌ؟
- لَيْسَ بِمُذْرَكٍ يُحْجَبُ وَلَا بِمَلْمُوسٍ يُحَاطُ فَهُوَ مِنْ أَوْجَدِ اللُّوْجُودِ وَجُودًا وَمَنْحَ الْحَيَاةِ مِنْ رُوحِهِ فَانظُرْ إِلَى رُوحِكَ تَجِدُهُ
- لِمَ الْإِنْسَانُ مَسْئُولٌ؟
- حَبَاكُمُ اللهُ عَقْلًا لِتَتَدَبَّرُوا بِهِ الْأَشْيَاءَ لَا لِتُهْمَلُوهُ مَهْجُورًا
- لِمَ الْحَوَارِيُّ مَقْتُولٌ؟
- خَاطَبَهُ الْحَقُّ مِنَ الْجِنَانِ فَنَالَ مُبْتَغَاهُ وَقُرْبَ مِنْهُ بَعْدَ الْبُعْدِ وَاصْطَفَاهُ
- لِمَ نَادَيْتَنِي النِّبْرَاسِيَّ؟
- لِأَنَّكَ أَنْتَ مَنْ سَيَشْعَلُ فِتْيَلُ السِّرَاجِ وَيَسِنُّ

نَضَلَ الرَّمْحَ وَيُصَدِّ خَيْبَةَ الحُسْرَانِ

- أنت هو الحافظ لكلام الله؟

- الكلام الله هو الحافظ

لَمَّمِ المَجَاوِرِيَّ عِبَاءَتُهُ وَ طَوَى الكَفَّ وَ اخْتَمَمَ القَوْلَ  
«وَلَا تُحَاسِبُوا اللهَ عَلَى أفعالِكُمْ إِلَّا إِنكُم أَنْتُمْ عَنْ أفعالِكُمْ  
تُحَاسِبُونَ فَالَسَاخِطُ مِنْ شَدَائِدِ القَدْرِ يُحَاصِمُ نَفْسَهُ لَا  
القَدْرَ فَمِثْلُهُ كَمِثْلِ الضَّارِبِ بِيَدِهِ الجِدَارِ أَسْتُدْمِي اليَدُ أَمْ  
يُدْمِي الجِدَارَ؟» بَسَطَ المَجَاوِرِيَّ يَدَهُ وَصَافَحَ النِّيرَاسِيَّ  
وَ أَدَارَ ظَهْرَهُ لِلْمَحَارِبِ وَ انْطَلَقَ.

\* \* \*

تَائِهٌ بِسَرَابِ الثَّأْرِ.. لَا أَثْرَ لِمَا يَتَحَرَّكُ لِأَجَلِهِ أَضَاعَ نَفْسَهُ  
فِي مَتَاهَةِ لَا حَدودَ لَهَا مَعَمَى البَصْرِ أَقْصَتَهُ العَدَاوَةَ مِنْ  
مَجْلِسِنَا أَفِقُ يَا سَالِمَ فَإِنِ المِيدَانَ قَدْ أَصْبَحَ خَلْفَكَ.

\* \* \*

عَادَ صَابِرُ بَرُوحٍ مَسْتَرِيحَةً وَ تَذَكَرَ السَيِّدَةَ الَّتِي كَانَتْ  
تَوَاسِيَهُ فَقَرَّرَ أَنْ يَبْحَثَ عَنْهَا إِلَى أَنْ وَجَدَهَا كَانَتْ تَجْلِسُ  
عَلَى مَقْرَبَةٍ مِنْ الحِيَامِ حَامِلَةً لِكِتَابٍ بَيْنَ يَدَيْهَا تَتَلَعَّثُ فِي

قرائته اقترب منها فتنبّهت لوجوده تُبَجِّلُ عظمة الله  
وتغلق كتابها.

- حمد الله على السلامة أيوة كده شوف وشك نور  
ازاي؟

- (ابتسم لأجلها).

- أنا كلمت الدكتورة اللي واقفة هناك وقالت  
لي انهم هيجيبوا عربية عشان يودّوا اخواتهم المستشفى  
استنى معايا وهما هيجوا دلوقتي

- (ألقي نظرة على جثمان ناصر)

- اخوك في الجنة إن شاء الله يا ابني ربنا كبير  
ومش هيضّع حق الغلابة

\* \* \*

أغلقت أعين لنرى النور بالظلمات قُطِعَتْ حَنَاجِرٌ لِنُغَرِّدَ  
بالحنان الحرية سقط النبلاء لأجل أن يسترّد كل منا  
كرامته.

ساعة الرحيل.. ها هم يحملون النعش، ها هي

السيدة تُتَمَّتَم بالأدعية، ها هو سالم يَدُور بالدائرة،  
ها هي ميرفت تُمَسِكُ بالخيط وها هو صابر حائر بين  
عَهْدِ قَسَمِ اليمين ووَعدِ عسير التَمَكِينِ الأحرار يكملون  
المشوار المشوار الذي حدثه عنه ميشيل وحلم به ناصر  
وأدله عليه المجاورتي قرر أن يرفع الراية التي حملها  
السَّابِقُونَ رايةً تحمل عبارة أن الحق سائر بالحقيقة  
وبالعهد والوعد والوثيقة.

## الأشعنى<sup>٣</sup> (\*)

جَلَسَ سالم فوق الرّصيف .. يلتقط أنفاسه بعد أن أنهكه  
الدّوار سمع صياحًا عاليًا قادمًا من أحد الأزقة المجاورة  
له يفرّج سالم فيركض ناحية الصوت اقترب أكثر فأكثر  
وتوقف بجانب شجرة قبضوا على رجل ويضربونه دون  
مقاومة منه يكسر سالم عُصًا من الشجرة.

- (زَعَقَ بهم) سبيه ياد انت وهو ورحمة امي اللي  
هيقرب منه ما هرجه

- (يعترض أحدهم) وانت فاكرنا هنعاف منك؟  
اللي انت قادر عليه اعمله!

(\*) يُطلق على المدمرين والمخربين وهو الإنسان الذي يُصاب بحالة  
نفسية تتصف بغياب الشعور وبصير متبلد الإحساس

- (بدون سابق إنذار يرفع سالم الغصن ويهوي به على المُحتَجِّ فينفجر الدم بجبينه)
- انت بتضربنى يا xxx أمك!!
- اضربك واعورك كمان ويلا من هنا بدل ما ادفك مطرحك
- (تراجع المُحتَجِّ خطوتين للوراء يُحشى عدوان قبضة لا تعرف التراجع)
- اللي عاوز حاجة من الغلبان ده يجى ياخذها منى والراجل فيكم يقف
- (لا داع للِنِقَاشِ أَعْتَقُوا الأسير في سلام إرضاء لبطش سالم ينادى سالم أحد المُغَادِرِينَ والذي لم يكمل العقد الثانى من العمر حيث رآه يجبى شيئاً بملابسه) استنى انت هنا عاوزك
- (يقف الشاب مكانه وهو يرتجف)
- انتو كنتوا ماسكين الراجل ده ليه؟ وايه اللي بتخيه في هدومك ده؟



- يضع الشاب ذراعه أمام وجهه وهو مُرْتَعِدٌ  
ويُطَلِّعُ سالم على الحادث) والله العظيم ما عملت حاجة  
ده المسدس بتاعه أصله أمين شرطة من بتوع أمن الدولة  
وكان عاوز يدخل الميدان ومسكناه حتى شوف ده  
الكرنيه بتاعه

نَزَعَ سالم الورقة وَتَفَحَّصَ تَشَابُهَ المَلامِحِ بين الوجه  
والصورة ليبدأ صراع المشاعر بمعركة أخلاقية.. تَنْقَلِبُ  
النِّبْرَاتُ.. «إنها الفرصة السانحة لتظفر بالقصاص  
أنسيت ناصر وكيف سقط بين ذراعيك دون أن يتاح  
له حق معرفة الجاني؟ أنسيت الدم الذي تناثر على  
وجهك؟ لولا القدر لكنت أنت من بَاتَ مَقْتُولًا لَقَدْ  
أقسمت على الثأر مهما كلفك الأمر وطال بك الزمان  
لقد سَقَطَ بين يديك من حَمَلِ العَدَاوَةِ حين حَمَلَ السَّلَاحَ  
ها هي الأمنية تتحقق لتعاقب المذنب إنه هو من سَفَكَ  
الدَّمَاءَ فلا تَأْخُذْكَ بِهِ رَأْفَةٌ».

أشار سالم للشباب الصغير بأن يُعْطِيهِ السَّلَاحَ الذي وجده  
بملايس أمين الشرطة فقد كان يبحث عن هذا السلاح  
يأمر سالم الشاب بأن يغرب عن وجهه يركض الشاب

مبتعدًا قدر استطاعته عن هذا المختل المفعم بالغضب.

\* \* \*

«سأهَبَ النيرانَ بالدماءِ وسأنحَرَ السِّفَاحَ بسيفه فلقد  
بُعِثَ الأشعنى من الجحيمِ تَوًّا».

يُلْقِمُ الطَّلَقَاتِ ويرفع السِّلاحَ عاليًا ويوجهه إلى رأسِ  
الخاضِعِ أسفلَ قدميه يعمُّ السُّكُونُ السَّمَاءَ وتُبْطِئُ الأرضُ  
من دَوْرانها فلا بشر فوقها عداهما الاثنين.

- (بنبرة حادة خافتة) انت عارف ان أنا كنت  
بدوّر عليك؟

- (الخاضِعُ يتشبَّثُ بأقدامِ سالمٍ وينزلُ بوجهه  
على حذاءه ويُقبِّله) ابوس رجلك يا باشا ابوس رجلك  
ماتموتنيس أنا عندى عيال وعاوز اربيهم وأمى ست  
كبيرة وعيانة وماهومش غيرى

- وهما اللي ماتوا ماكانش عندهم عيال؟ ماكانش  
عندهم بيت وأهل؟ عرفنى كده عملوا إيه يستحقوا  
عليه الموتة دي؟

- (مبحوح النجيب) والله ما أنا والله ما عملت

لهم حاجة دي أوامر واحنا بتننّفذها

- (مُحْتَبِسِ الدَّمْعِ) وهى الأوامر انك تنفذ من غير ما تحس؟

- (يَسْتَعِيْثُ بِالْمُعِيْثِ) يَا رَبِّ نَجِّنِي يَا رَبِّ نَجِّنِي!

- (رَذَاذُ لُعَابِ فَمِهِ يَتَطَايَرُ صَارِحًا) ربنا؟! دلوقتى افكرته لما جالك الموت؟!

الأَجْحَفُ الصَّارِمُ يُلْصِقُ مُقَدِّمَةَ الْمَسَدِ بِجِبْهَةِ الْحَاضِعِ  
يكاد يَخْتَرِقُ عِظَامَ جُمُجُمَتِهِ لَا يَسْتَقْطِبُهُ الرَّجَاءُ طَيْنُ  
الْوَسَاوِسِ بِذَهْنِهِ «اقتله اقتله اقتله!».

- (بِعْيُونِهِ الدَّامِيَةِ دَنَا لَوْجَهُ الْحَاضِعِ وَأَخْفَضَ  
حِدَةَ صَوْتِهِ) انت بتدعى ربنا؟ دُعَائِكَ ده ممكن يرجع  
الزمن؟ يقدر يرجع لي دمي اللي سال على الأرض؟  
هيرجع ناصر للدنيا دي من تانى؟

- (أَلْقَى بِهِ فِي حُفْرَةِ بِلَاقَاعِ)

- (صَرَخَ بِهِ) هتـرجع اللي مات للدنيا  
من تانى؟ جاوبنى؟

- (لم يتبق له سوى البكاء ويتسائل كيف ستحل  
المُعجزة)

- جاوبني؟ والى اتدهس والى اتسحل والى  
اتخرس والى اتعمى والى اتقتل.. ذنبهم في رقبة مين؟  
- ارحمني!

« كَيْسَ لَدَيْكَ الْيَوْمَ مِنْ شَفَاعَةٍ إِنَّ لَكَ أَنْ تَتَحَسَّسَ  
لِهَيْبِ صَدْرِي وَتَنْظُرَ إِلَى الدَّمِ الْفَائِرِ بَعَيْنِي فَسْتُبْصِرُ مَجْبَأَ  
الْجَحِيمِ الَّذِي سَأُرْسِلُكَ إِلَيْهِ.. بكل الحزن المُخَيِّمِ وبكل  
الغضب المُتَمَكِّنِ ينطق بآخر القول.

- وانا مش ربنا عشان ارحمك

تتجمد الإبر الثلاث بالساعة وتتصلب الأوردة بمقلة  
العين.. ضغط الزناد لتخرج من بين فوهة أنبوب معدني  
رصاصه تحمل معها آخر ما تبقى من أسفٍ ويتصاعد  
دُخان الروح فهو أبيض اللون له رائحة التراب بعد المطر  
يتهاوى الخاضع كبنيان شاهق مُعلنًا انهبان شعار البريء  
من دم ابن يعقوب قلب الأشعنى كصخرة تتحطم فوقها  
قوارب النجاة بأمانى العيش بكون يسوده السلام اقتلع

الأشعنى بقبضته الضمير من صدره ولطخت الدماء  
يديه.

لا استياء لا ندم.. بل أمن واطمئنان وبهدوء يضع  
المسدس في جيبه وينتزع الضمادة التي تغطي جرح رأسه  
ويقذف بها بعيداً عنه الضمادة الحاملة لدم سالم وعرق  
صابر ورائحة ناصر الضمادة التي مزقتها صابر من  
قميصه ليوقف بها النزيف الضمادة التي اعتنى بها ناصر  
من أجل أن يتعافى المصاب قطعة من القماش جمعت بين  
أقدار مشتتة.

يغرب بوجهه عن القتل يمشى مبتعداً فلم يعد له غاية  
في البقاء ولماذا البقاء وقد تحققت الرغبة؟ يتوهم أنه  
سيعود لحياة معتادة ويكمل بها الأيام المتبقية راجياً أن  
تتمحى الحقيقة ويأوى بسكينة إلى الفراش ليلاً يتحاشى  
النظر بالمرآة هرباً من رؤية صورة الوحش المنعكسة في  
عينيه فعندما تحترق اللوحات وعندما تتبعثر الصحف  
ستعود لعنة الأشعنى ويطيح بالأعناق.. لم نكافح لأجل  
أن تزداد شواهد الأضرحة ويتسع مستنقع الدماء.

\* \* \*



لا اشتهاء لاندم . . بل آمن واطمئنان، ويندوء يضع المسدس في جيبه

يحمل صابر التابوت فوق كتفه متمنياً أن تكون تلك هي الأخيرة يبكى بدمع لم يجف مجراه من على وجهه يضع جثمان ناصر على ظهر السيارة برفق شديد وكأنه قطعة كريستال يُقبل جبهته ويدعو له سرّاً يحاول الا يستسلم للبكاء كى لا يسقط من ثباته الواهى يتراجع تاركاً باقى الإخوان يودعون أحبابهم نصيرُ رقماً في القائمة ونشترى تذكرة الإفراج عن جثة برىء تنتظر الدفن وكأنه المديون ببلد لا يُراعى حُرمة الموتى.

تحية الوداع ونظرة الحتام.. ابتعدت السيارة إلى أن اختفت عن الأعين الآجال كالشَّمع تَدوب ذكريات شكلت جزءاً من حياة لن تتذكرها كُتب التاريخ بحرف جزء بائس منسى ولكنه مجيدُ الذكر.

\* \* \*

تدور الكواكب و تدورُ والا اندثرت.. ولطالما القلب ينبض فلا تحمده باليأس ينظر صابر من حوله فىرى أعلاماً ترفرف وأناشيد تغنى وأهال مجتمعون فى الفرح أينفض من على ملابسه الغبار ليستقبل من بعده الندى

يتجول في الميدان كأنه زائر يمشى بين الحشود مُتأني  
الخطوات كي لا يتعثّر.

\* \* \*

ألحانٌ وموسيقى.. هش الشَّعر ضئيل التكاوين ملفوف  
حول معصمه أحبال له عُود يُضرب عليه بريشة يعزف  
منفردًا كما لو كان فوق مسرح وله جمهور خيال يولد  
لحلم قد كان بعيدًا يتابعه صابر من هناك كي يرى المشهد  
كاملاً يغنى والميدان يلتئم من حوله وبينما هو عاكف على  
غناءه يقترب منه رجل

- انت بتعمل إيه؟ حد يغنى وفي ناس ميتة!
- بس أنا مش بعرف غير الغنا عشان اعبر عن  
اللي جوايا وأقدر أشارك بيه مع الناس
- حرام عليك اتق الله! أغانى وموسيقى ناقص  
تقولى اتخزم وارقص كمان!
- أنا آسف هاسكت..
- (يُغلق آلته معلناً مغادرة الفرقة صابر يتعجب



ويقرر أن يتدخل)

- في إيه يا أستاذ صوتك على ليه؟ هو الأخ ده  
زعلك في حاجة؟

- يرضيك يعنى جايب عود وعمال يعنى؟

- وايه المشكلة هو صوتته مش عاجبك مثلاً!

- لا يا سيدى بس ماينفعش حد يعنى وفي ناس  
ميتة مافيش أدب ولا أخلاق خلاص؟!

- ماينفعش يعنى ليه؟

- يعنى انت شايف إن مافيش فيها حاجة!

- أسالك وترد بصراحة؟

- اتفضل

- بدمتك لو كان الناس اللي استشهدت دي  
موجودة كانوا هيمنعوا حد انه يعمل حاجة هو بيحبها؟

- لا

- كانوا هيمنعوه انه يغنى؟
- لأبس....
- (مقاطعًا) وطالما لأبتمنعه ليه؟ مين ادالك الحق في انك تخليه يسكت وتزعلق في وشه؟ لو عاوز تنصحه لله يبقى بالراحة
- (شعر بشيء من الخجل ولكنه لا يتراجع عن موقفه كونه شقيقًا في المقام الأول) بس هو غلطان انه بيغنى
- (يمشى المعترض مبتعدًا عنهم تاركهم لهواهم مستمسكًا بقناعته يعلم أنه أخطأ بالتعبير ولكنه يضع المبررات)
- كمل وغنى واوعى تعمل اللي الناس بتقولك عليه اعمل اللي قلبك يدلك عليه

\*\*\*

السحاب حالك والغيم لن ينجلى.. هكذا الأرواح القنوطه مقطوعة الأنفاس قبل النهاية في تلك الأثناء

كان هناك جالس بجوارهم يستمع إلى الالخان ليس من المؤمنين بالشعارات أو من مصدّقى الهتافات فهو ليس بصديق المارد ولا يمتلك عصاً سحرية تُحدث ما لا يقدر على تخيله كان ذو مظهر غير متكلف شعر أسود داكن قصير ذو تسريحة مائلة يحمل بجعبته الفضول ولا يترك حائطاً الا وحفر عليه اسمه لا يثق الا بما ينصح به الطبيب كان يستمع للعازف وأحب كلماته فقرر أن يشاركه الجلسة يستكمل العازف بصوته العذب.

وطني الحرّ سماً لا تمثلك

والفتى الحرّ بأفقه ملك

لا عدّا يا أرض مضر بكى عاد

إننا دون حماكبي أجمعين

يصفق صابر ويضع يده على كتف العازف ليثنى عليه ويصفق الشاب الجالس معهم بدوره كونه أحد المتابعين ويترك تعليقه العابر.

- حلوة الأغنية بس قصدك إيه بالكلام ده حاول

توضيح المعنى شوية

- ده النشيد الوطنى المصرى سنة ١٩٣٦ واللى كاتبه مصطفى صادق الرافعى ولحنه صَفَر على
- معرفش الناس دي وكمان أول مرة اسمع النشيد ده!
- لازم تعرف عنهم دول تاريخ مصر فى الأدب والموسيقى
- منك نستفيد

\*\*\*

حَرَكَ القَدْرُ أَجْزَاءَ الأُحْجِيَّةِ.. صابر والعازف أولهم كتب له أن يعيش بكل يوم مع شخص يستحضر بحياته وقائع لا تتكرر مع نفس الشخص والعازف تمنى أن يستمع اليه مُجَامِل فوجد نفسه يحى الليلة بمفرده.

لَيْلَةٌ سَمَرَ فى حضور الذين أطلقوا عليهم الكَادِحِينَ أو سُكَّانَ الحُجْرَات تزداد دائرة الوَافِدِينَ اتساعًا حول العازف تجمعهم البسمة المنيرة بالوجوه فى البساطة

نشهد أروع ما قد تظهره لنا البشرية من محبة يصفقون  
يغنون يمرحون ليلة ما كان سيأتى ذكرها بصَفَحَات  
امتزج بها مِلْحُ الدَّمْعِ بِحَبْرِ القَلَمِ.

\* \* \*

كان يقف بأحد الأحياء الشعبية له كَعْبَان مُشَقَّقَان  
يظهران أسفل جليابه القصير يحفر أسنانه بعصاً خشبية  
خشنة يكاد يصنع فجوة بين فكيه يفتح فمه عن آخره  
فيطلق صيحة لها صدى «سامح!» تتلقفه بعدها إشارة  
من الأعلى تعنى أن اخرس وينزل دكتور سامح السلام  
مهرولاً.

- اخرنا كده زى كل مرة

- كنت بلبس يا عبد الحليم انزلك عريان يعنى!

- عذر أقبح من ذنب

- ربنا يسامحك

- طب يلا اتحرك عشان الناس مستنييننا من زمان

كانوا قد قرروا حصر من أرادوا الانضمام للميدان بعد أن تيقنوا أن هذا هو المكان المفترض أن يتواجدوا به نرى تَجْمُهُرٌ بناصية أحد المقاهى حيث نقطة التجمع التي اتفقوا عليها يقترب عليهم سامح وعبد الحليم.

- السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ازيكو يا رجاله

- وعليكم السلام يا شيخ

- أنا مش شايف يعنى زكريا وفارس هو انت نسيت تكلمهم؟

- لا يا شيخ مش هيجوا يقولوا هيبقوا يحصلونا بعدين

- براحتهم المهم يلا بينا احنا عشان نلحق نوصل

تفرقوا بشبه عشوائية حتى لا يلفتوا الأنظار لعدددهم كل اثنين في فريق وكل فريق يمشي مبتعدًا عن الآخر ببضع خطوات يعرفون وجهتهم في اتجاه سيارة ميكروباص مركونة بأحد الشوارع تجدهم قد أصبحوا بداخلها

تتحرك بهم بعد أن اكتمل العدد.

\* \* \*

مُتَلَاِحِمَةُ الأَوْصَالِ.. لها نَوَاةٌ وَجِدَارٌ وَعَصَبٌ تَنْبُضُ  
كِدَقَاتِ قَلْبٍ وَلَهَانَ تَأْسِرُ الأَبْصَارِ حِينَ تُشْرِقُ تَخْلَعُ  
عَنْكَ ثِيَابَ الأَنَا لِتَلْبَسِكَ حَرِيرًا مُطَرَّرًا بِالإِثَارِ غَيْرِنَا مَا  
بِأَنْفُسِنَا فَغَيَّرَ اللهُ مَا بِنَا.

\* \* \*

‘مَاذَا لَوْ أَنَّ الشُّعْلَةَ المُنِيرَةَ كَامِنَةً بِجَوْفِ كَهْفِ دَامِسَ  
وَيَسْكُنُ الكَهْفَ أَفْعُوَانٌ يَنْفُثُ اللَّهَبَ؟’

أَوْعَلَ صَابِرٌ أَصَابِعَهُ بِدَاخِلِ الكَيْسِ يَنْجِحُ فِي الإِمْسَاكِ  
بِقِطْعَةِ خَبْزٍ فَارِغَةٍ يَقْسِمُهَا إِلَى نِصْفَيْنِ يَتَسَاقَطُ مِنْهَا  
الْفَتَاتُ.

- امسك مد ايدك

- لا بالهنا والشفة انت ماليش نفس

- امسك بس

- مالىش نفس.. (عيون حائرة) الوضع ده مش هينتهى بقى يا صابر هنفضل في الشارع لإمتى؟
- (يجيب وفمه ممتلئ) همهم هانت خلاص قريب قريب اوى
- قريب ازاي بس!! احنا ملطوعين هنا بقالنا كذا أسبوع وما فيش حاجة بتحصل واللى قالقنى أكثر إن الوضع اللي جاي مايطمنش شوفت الطيارة اللي كانت فوقنا من كام يوم دي؟
- ههه.. يعنى هيضرب علينا أنابل وسواربخ مثلاً!
- مش بعيد أى حاجة تهون عشان الكرسي يدوم
- حتى لو موتنا كلنا ماعادش هيبقى له حكم ما فيش ملك من غير شعب والكرسي ده احنا هزيناه خلاص
- وبعد الكرسي يا صابر؟ احنا هنختار المجهول
- انت قولتها احنا اللي هنختار مرة واحدة



في حياتنا نختار وبص حواليك كده هتعرف نتيجة  
اختيارهم عمل فينا إيه

- بس هتخبط في الضلمة وممكن حالنا يسوء

- أو ممكن يتحسن وعمر الضلمة ما بتدوم  
وأفكر إن اللي بيخلى الانسان أسطورة انه بيقدر يمسح  
كلمة مستحيل ويكتب بدل منها اسمه

\* \* \*

نَفْسُكَ مُقَيَّدَةٌ لِلْأَزَلِ بِكُرْسِيِّ الْكُرْسِيِّ مَرْصُوصٌ بِصَفِّ  
تَبَيَّنَ أَنَّ مَصِيرَكَ بِمَخْطُوطَةٍ لَسْتَ أَنْتَ مِنْ حَظِّهَا بِيَدِكَ  
تَسْعَى لِإِخْتِيَارٍ بَعِيدٍ عَنْ حَدِّكَ الْمَرْسُومِ فَيَأْبَى الدَّجَالُ  
أَنْ تَخْتَارَ تَثُورُ عَلَيْهِ بِالتَّسَاوُلِ فَيَرُدُّ عَلَيْكَ بِجَوَابَيْنِ إِمَّا  
أَنْ تَتَوَلَّى الدَّفْعَةَ فَتَمْسِي مَتَخَبِّطُ الْمَسِيرِ إِلَى نُضْرَةِ عَقْلِ أَوْ  
إِتْهَامِ بِجُنُونٍ؛ وَإِمَّا أَنْ تَأْمَنَ مَكَانَكَ تَارِكًا الْعَاقِبَةَ لِغَيْرِكَ  
فَتَمُوتَ هَنِيءَ النَّفْسِ فَإِنَّكَ لَسْتَ الْمَلَامُ.

\* \* \*

يأتي نداء من خلف صابر الصوت اليف والنداء يتكرر

النداء يحمل اسمه «صابر» ينتابه الارتباك «من أين عرف اسمي؟!» يلتفت عسى أن يعرف من المنادى تمتد يد من وراء ظهر صابر لتمسك بكتفه وتنتشله بعنف.

- صابر استنى رايح فين؟

- (يرفع كفه للدفاع عن نفسه وعند اللحظة يتوقف فجأة) فارس! خضيتني يا راجل!

- ما أنا بنادى عليك بقالى مدة إيه اتطرشت؟

- وهسمعك ازاي في المهرجان ده! أخبارك إيه؟

- تمام انت عامل إيه؟

- الحمد لله بس إيه اللي نزلك؟

- مافيش أصل في يوم لاقينالك الشيخ عبد الحليم دمه جى وقعد يخطب فينا عشان نزل وأقنعنا كان المفروض زيكو يبجي معايا بس كبر دماغه وقعد في بيتهم وأخرنى على الشيخ وخلاص فنزلت أنا لوحدى ولما جيت هنا لمحتك من بعيد شبّهت عليك وبعد لما اتأكدت ناديت وروحت جبتك بس شكلك متبهدل..

إيه حكاية؟!

- طب تعالى نقعد في جنب الأول وانا هحكى لك

\* \* \*

تتغير الأصوات من حوله كلما تبدلت الالوان المنعكسة  
بحدقته لا تتوقف أصابعه عن الطرق على الأزرار العرق  
بأنامله قد أزال ملامح الكتابة المطبوعة فوقها يترك جهاز  
التحكم عن بعد جانبًا ليزحف بيديه أسفل رأسه مطلقًا  
بالسقف يغمض عينيه لبرهة لعل العين تستريح من الم  
المتابعة.

- مالك يا ابو صابر فيك إيه؟

- مفيش تعبان شوية قولت اريح عيني

- طب خش نام جوا بدل قعدتك اللي تكسر  
العضم دي!

- (يعتدل في جلسته) الواد صابر وحشنى اوى  
يا ام صابر قلبى واكلنى عليه بقاله أسبوعين في الشارع

ومحدث فينا عارف أخباره إيه ولا أراضيه فين!

- ماتقلقش هو كويس إن شاء الله وربنا هيرجعه  
لنا بالسلامة

- يسمع منك ربنا

- مشكلة العيال دي إن دماغهم ناشفة ومش  
بيسمعوا الكلام الراجل هيعمل إيه اكر من كده هو حد  
كان يحلم انه مايرشحش نفسه تانى؟!

- والله ما عارف آخرتها إيه

- العناد مش كويس وكفاية اللي راحوا لحد كده  
معندهومش حق

من أقصى شمال الغرفة يداهمهم صوت لَيِّنٌ يطويه  
السُّخْطُ لِلْسَّانِ لَمْ يَنْبَسْ بَيْنَتِ شَفَةِ مِنْدِ دَهْرٍ.. إنها كوثر  
الشقيقة الكبرى لصابر.

- معندهومش حق!! الحق الأيام دي مش  
يرجع الا بالغصب احنا اتاخذ منا كل حاجة كل  
حاجة وماتبقالناش غير الكفن اللي كل واحد فينا بقى

شايه على كتفه بتمنى الموت في كل خطوة بنخطيها  
 نفسنا مكسورة وكرامتنا مهانة ريقنا نشف بقينا عبيد  
 للقمّة العيش بنتستى العظمة من بق الكلب دمنا  
 بنبيعه في أكياس يمكن يجيب حق الغموس شرفنا  
 اتداس بالرجلين وتمننا رخص بقينا بنستعرّ حتى من  
 أسامينا خلّونا أغراب في أرضنا وبنهرب من بلدنا  
 اللي بقت سجن عيشة تقصر العمر يبقى نتدفن بكرامة  
 أشرف مليون مرة على اننا نعيش بمهانة!

غربوا بأنظارهم عنها.. لا يقويان على الإطلاع إلى عيون  
 كتمت النّزيف يخشيان مواجهة الكلمات لمدارة ذلك الالم  
 الساحق الذي عبر الحسّ من أثر ضغطة إنعاش قاسية.

يلمح الأب الشّريطُ الأحمر للأخبار فينتفض ويقترب  
 بوجهه من الشاشة الملونة ليقراً الخبر «مبارك يبحث  
 مع قيادة الجيش مقترحاً بنقل كافة صلاحياته لمجلس  
 عسكري انتقالي».

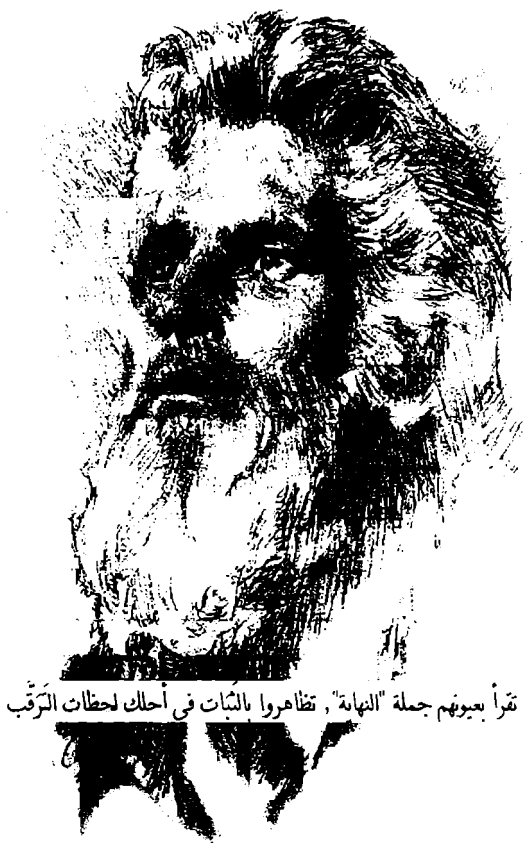
\* \* \*

## النَّبْرَاسِيّ

تَوَحَّدَ الْأَفْئِدَةَ.. الانتظار هو عنوان الموضوع اقرب إعلان القدر لانتصار الإرادة اجتمعوا أمام الشاشات تتسارع دقائق القلب شغفاً التوتر أصاب الأيادي برعشة تقرأ بعيونهم جملة «النهاية» تظاهروا بالثبات في أحلك لحظات الترقب تم إبلاغهم بالنتيجة ولكن أرادوها أن تطرب آذانهم «أنا أتحنى»..

كانت تلك هي الكلمة التي بعدها ينسدل الستار.

إحدى عشر دقيقة من الغطرسة لطاغية مازال يثق بسراب السلطة لم يتحملوا الاستماع لتلك النكته السميحة رفَعوا الحذاء لمن يحسب نفسه لم يسقط وأنهم في انتظار كرمه



تقرأ بعيونهم جملة "النهاية"، تظاهروا بالنبات في أحلك لحظات الرّقب

سيأتونه سَعِيًّا ولو كان عرشه فوق قمة الهرم طَفَحَ الكَيْلِ  
وفاض بهم الصبر واليوم هم من قرروا أن ارحل..  
قالوها مدويةً لتزلزل الأرض من تحت الأقدام.

\* \* \*

تِلاوَةٌ و تَرَائِيمُ بِالْجُمُعَةِ الأَخِيرَةِ.. البيوت فَرَعَتْ  
الشَّوَارِعُ تَكَدَّسَتْ المِيَادِينُ امْتَلَأَتْ الأسوارُ رُجَّتْ ساعة  
حرجة تنقلب بها الموازين الأعلام ترفرف والصبوحات  
تعلو فالجميع أصبح فردًا ليس بينهم مرغوم ولا خائف  
حان دورك يا تاريخ لتكتب صفحة فخر أخرى لك تبدأ  
بشعب وتنتهى بمصر.

\* \* \*

محمول فوق الأعناق كونه القائد المعهود ينادى لسانه  
بما حمله قلبه ليال سودٍ طوال بالأمس لم يكن مُرَحَّبًا بك  
واليوم هو الميلاد المشهود يومٌ حَسِبَهُ العَجْزَةُ مستحيل  
الحدوث.

\* \* \*



أدركنا الليل بظلامه فتأبى الشمس المغادرة.. نهار لم يقرر الانتهاء بعد يزداد لهيب الشعلة توهجًا ليطغى نورها الشعلة التي انتزعناها من جوف الكهف المظلم لتحين ساعة لفظ الحكم الذي أصدرناه وينطق بها ذويه المخلصين «لقد رَضَخَ الحاكم لشعبه» أكثر من ثلاثين عامًا انمحووا بخطاب لم يتعدّ الثلاثين ثانية.

\* \* \*

الأخرف حَجبت مُطلقَ مَعانى الوَصْف.. يقفز في الهواء عاليًا معتقدًا لمس السحاب يجرى كالمسوس ويلوح بعلمه في الفضاء يخرّ ساجدًا لله حمدًا على جوده يُقبَل ابنه تحسبه سيلتهمه يرقص وكأنه في ليلة عُرِسَه يلتقط الصور مشيرًا بعلامة النصر يرفع كَفَّيه للسماء ويردد التكبيرات.

\* \* \*

يَاضُ الصُّبْحِ.. بأول الشارع الذي لطالما حلم بهجره يتوقف صابر ويستجمع ذكريات الحى «كم من مرة تغنيتُ بالسوء عنك ولم أكن أعلم إنك أعز البقاع لقلبي وكم من مرة بها رأيتك لتكون تلك الأولى لأراك

لسانى لم يتوقّف عن لعنتك ليُخفي الجوف محبتك تمنيت  
الرحيل عنك وأنا من وضع روحه فداءً لك.. يترقّق  
الدمع من عينه ويباعد ذراعه كاشفاً عن صدره استقبالا  
لصابر الغد رآه المازّة فعرفوا إنه ابن منطقتهم أخفضوا  
رؤوسهم ليلقوا عليه السلام «أهلاً بعودتك يا بطل».

- ياه.. الشارع وحشني اوى وكأني بقالي  
سنين بعيد.. أول مرة أول مرة في حياتي أحس إن  
الشارع ده بتاعى!

\* \* \*

صعد الدّرج حطّ بجسده أمام الباب وأخذ يضغط  
الجرس بضغطة لا تعرف التراجع رنين متواصل وكأنه  
صّفير النجدة لديه ليهرعوا مُلبّين.

- حمد الله على السلامة يا صابر كده تعلقنا عليك  
طول المدة دي!

- (بعين ناعسة وصوت يكاد لا يعبر من شفّيته)  
انام عايز انام

حملة الأب كمصاب حرب الأم بقربهم تفضحها ملامح

القلق يضعه برفق فوق سريره بالغرفة التي تم إعدادها لاستقباله يوم وليلة ولا شيء يختطفون النظر ليطمئنا عليه أقط جثمان هامد ارتفاع وانخفاض صدره هو الدليل على أنه ما زال حيًا.

\* \* \*

شجرُ الخِلافِ يتأزجح.. أطلَّ صابر من الشَّرْفَةِ على الشَّارِعِ المُرْدَحِمِ كوب شاي فوق السور ونَسِيمِ وُغْرُوبٍ وَسَكِينَةِ «عَفْوَتِ عِنكِ يا دنيا».. في مرحلة ما من حياتك تكتشف إنك صرت شخصًا آخر لم تكن ستقبله أبدًا بَارَكَتْهُ أرواح طيبة بحدس مُطْمَئِنِّ إلى قلبه إنه العَلْبَةُ لمن سَعَى فِي الأَرْضِ مُحْتَسِبًا وَعَازِمًا على هزم البَلَايَا فانْشُدْ مُبْتَغَاكَ وستتاله عَاد صابر من الشُّرُودِ حين استشعر يد أخته كوثر تربت على كتفه يلتفت لها فيجد على وجهها ابتسامة وفي يدها الهاتف الخاص به يرتعش لاستقباله اتصال يأخذ الهاتف من يدها وتتركه ثوان من التردد تنتهي بالرد.

- السلام عليكم.

- وعليكم السلام أستاذ صابر معايا؟
- أيوة مين حضرتك؟
- معاك مكتب الطحان يا فندم أنا بتصل بحضرتك عشان اقولك إننا حددنا معاد السفر الخاص بك وهيكون الأسبوع الجاي ومن غير تكاليف للفيزافيا ريت تعدى علينا عشان تنهى أوراقك و تاخذ تذكرة السفر بتاعتك
- (حُطِّطَ بِمِطْرَقَةٍ خَلْفَ رَأْسِهِ لِيَسْتَرْجِعَ مَشْهَدَ الْمُقَابَلَةِ بِالْمَكْتَبِ تَنْتَابَهُ الْحَيْرَةُ لِتَكُونَ إِجَابَتَهُ) حَاضِرُ رَبِّنَا يَسْهَلُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ

\*\*\*

«ينغلق الخط وتقلب ملامح وجهه قاب قوسين أو أدنى الحال قد تبدلت بعد أن حمل الأمانة الغصّة في الحلق تزيد الخيارات حدة محاصره الظنون تهجره المشورة تنسحب الأنوار المرشدة لتتركه في ظلام دامس»

\*\*\*

كانت هناك تلك الصورة القبيحة المعلقة بالحوائط فوق رؤوسنا جميعًا كنا نكره تلك الصورة التي تضايقنا لكن لم يُقدِّم أحدنا على إزاحتها تركناها لزمان حتى غفلنا إننا نحن من أوجدها في ذلك المكان العالى وبيوم قذفنا حجرًا كسرنا الزجاج مزقنا الصورة وفرحنا بإزالتها لكننا تركنا إطارها الفارغ متواجدًا بمكانه الإطار الذي همى الصورة لسنين ذاك الإطار الأسود السميك المتراكم عليه العفن إلى أن التصق به وصار جزءًا منه.

\* \* \*

لم يُعد بحَوَوزَتِي أوراَقًا أُخْرَى لتقلبها  
ليس من بعد تلك الصفحة من صفحاتٍ أُخْرَى لتطويها  
نَفِدَت الأَسطر من بين أَنامِلِي لأَبْلُغ مُنتَهَاها  
نقطة فاصلة لن يسطر من بعدها القلم  
القرار قد لاذ بالفرار من الدائرة  
لأنك أنت من امتلك الإِبصار  
أنت من أَدْرَكَ المَعْنَى المُسْتَعَار  
وَمَنْ اهْتَدَى إلى صواب الاختيار  
أنت أيها القارئ من بَرِيءِ الوَصَايا  
فقط حين تؤمن بنفسك  
سُتَدْرِكُ إنك ولدت لتقود المسير  
فاشهر السيفَ ولا تُفْلِتِ الرَّايَةَ  
واكْتُبْ أيها النُّبْرَاسِي النِّهاية

إهداءً إلى مَنْ بَارَكَتْ رُوحُهُ الْكَلِمَةَ وَفَنَى جَسَدُهُ فَلَمْ يَقْرَأْهَا

رواية  
رامسي عمّار

# النبراسي

يا من  
هو محل ناظري  
وهو المستمع للداعي - يا  
من حسبني أثرته سائرا على  
قدمي وأنا المعلق في مخالب  
الطير تحطني الي ما شاء العليم  
مقصده جئتك بما نبأني الخبير  
بمخونه وعن سؤالك مجيب بما  
تفاذي لبالك من أسرارهِ فلا شأن لك  
بعالمي فالموهوم وهمه الوهم  
كالسباح ببحر الفكر عُزقان.  
فبالجواب أتيتك وبالخلاص  
أتيتني فأية لانا المجاور  
وإنك أنت النبراسي



تصميم الغلاف  
عبد الرحمن الصواف

العمري  
للتنوير  
والنشر